الخطاب الديني والتربوي في فكر الشيخ محمد العربي بن التباني الجزائري (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د. خير الدين يوسف شترة
أستاذ التاريخ الحديث بقسم التاريخ
والحضارة الإسلامية- جامعة الشارقة

الملخص:

إن موضوعنا هذا والموسوم بـ: **الخطاب الديني والتربوي في فكر الشيخ محمد العربي بن التباني الجزائري**، يخوض في أمر التاريخ والمجتمع والثقافة والفكر والحضارة والإصلاح بأنواعه المختلفة، أي أنه يخوض في موضوع تطور الفكر الإسلامي العربي الحديث والمعاصر. وحول إشكاليات هذه الدراسة فإننا نسعى إلى فهم كيف يمكن أن نقرأ الفكر التجديدي للشيخ محمد العربي بن التباني؟ وكيف قدَّم أطاريحه التجديدية في أساليب التعليم ومناهج التربية؟ وكذا في طرق الدعوة وأدوات الإصلاح؟ وفي أساليب التعليم و مناهج التربية؟

وتفترض الدراسة – بالاعتماد على جملة المصادر الأولية والتي هي في النهاية الكتابات التاريخية والشرعية والفكرية للشيخ محمد العربي بن التباني – أنه كان للشيخ بن التباني دوراً مؤثراً في بناء قواعد وأسس الخطاب الديني والتربوي الحديث في المنطقة العربية، من خلال محاضراته وتراثه الأدبي والتاريخي.

وتقوم منهجيّة البحث على منهجين هما: المنهج التاريخي ومن خلاله عملنا على استرجاع واسترداد معطيات الماضي لنتحقق من مجرى وسير الأحداث، ولنُحلل جملة المشكلات البحثية التي طرحها الشيخ بن التباني بدايةً، وعلى المنهج المقارن بهدف استخراج المفاهيم الدراسية والنصوص المنهجية من مصادرها وذلك من خلال المقارنات التي

(*) مجلة "وقائع تاريخية" العدد (٣٦)، يناير ٢٠٢٢.

توضح نقاط الالتقاء، ونقاط الاختلاف الموجودة.

لنخلص في النهاية إلى أن خطاب بن التباني الديني والتربوي يغلب عليه التفكير الدفاعي عن الإسلام في الرد على بعض الآراء الاستشراقية، أو القدحية، وذلك من خلال نمط خطابي يعتمد على إعادة إنتاج مجموعة مقولات فقهية وتاريخية من داخل المنظومة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: محمد العربي بن التباني، التجديد، الفكر الإسلامي، الفكر الديني، الخطاب التعليمي

Religious and Educational Discourse in the thought of Sheikh Mohamed al-Arabi Bin al-Tabbani Al-Jaza'iri

Abstract

Our topic with the title: **Renewing the Religious and Educational Discourse in the Thought of Sheikh Mohamed Al-Arabi Bin Al-Tabbani Al-Jaza'iri,** delves into the matter of history, society, culture, thought, civilization, and reform in its various forms, that is, it delves into the issue of the development of modern and contemporary Arab Islamic thought. Regarding the problems of this study, we seek to understand how we can read the innovative thought of Sheikh Mohamed Al-Arabi Bin al-Tabbani? And how did he present his innovative thesis on teaching methods and educational curricula? As well as in the methods of advocacy and tools for reform?, and In teaching methods and educational curricula?

The study, based on a number of primary sources, which are ultimately the historical, legitimate and intellectual writings of Sheikh Mohamed Al Arabi Bin Al-Tabbani, assumes that Sheikh Bin Al-Tabbani played an influential role in building the foundations of modern religious and educational discourse in the Arab region through his lectures and literary and historical heritage.

The research methodology is based on two approaches: the historical approach, and through it, we worked on retrieving and restoration of the facts, of the past to verify the course and turn of events, and to analyze the number of research problems that Sheikh Bin Al-Tabbani initially raised, and on the comparative approach with the aim of extracting academic concepts and methodological texts from their sources through the comparisons that show the points of convergence, and the points of difference that exist.

In the end, we conclude that Bin al-Tabbani's religious and educational discourse is dominated by defensive thinking of Islam in response to some Orientalist views, or vilification, through a rhetorical style that relies on reproducing a set of jurisprudential and historical sayings from within the Islamic system.

Keywords: Mohamed Al-Arabi Bin Al-Tabbani - Renewal - Islamic thought - Religious thought - Educational Discourse.

المقدمة:

١. **أهمية البحث ودوافعه:** إن مناهج وآليات المقاربة والتحليل والتفسير والتأويل السائدة في غالب قضايا الفكر الديني والتربوي وفروعهما ومباحثهما، لا تزال تعيد إنتاج ذاتها، في ظل انغلاق أو ابتعاد الكاتب والباحث الإسلامي عن فروع المعرفة والثقافة الحديثة وما بعدها، لاسيما في جوانبها المنهجية، والثورة في مجال الألسنيات وأثرها في كل العلوم الاجتماعية على اختلافها، ولعل أول عمل يمكن الرجوع إليه لمن يريد أن يتتبع ويؤرخ للأعمال والمؤلفات التي بحثت وعالجت موضوع التجديد في الفكر الإسلامي خلال النصف الأول من القرن العشرين هو عمل الدكتور محمد إقبال في كتابه «تجديد التفكير الديني في الإسلام» والذي هو عبارة عن محاضرات، ألقاها إقبال باللغة الانجليزية، ما بين عامي ١٩٢٨م . ١٩٢٩م، وأكملها في مدينتي حيدر أباد وعليكرة الهنديتين، ثم جاء من بعده: فضل الرحمن في كتابه: «الإسلام وضرورة التحديث»، ومحمد البهي في كتابه: «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي»، ومالك بن نبي في كتابه: «وجهة العالم الإسلامي»، وهاملتون جب(Hamilton Gibb) في كتابه: «الاتجاهات الحديثة في الإسلام»، وغيرهم كثير.

ثم أصبح الحديث عن تجديد خطاب الفكر الإسلامي في أبعاده الدينية والتعليمية والاجتماعية وحتى السياسية متداولاً بشكل كبير في مجتمعاتنا العربية والإسلامية إلى يومنا هذا، وصار يستقطب الكثير من الاهتمام في الأوساط المثقفة، خصوصًا تلك المهتمة بتطوير خطاب ديني مواكب للعصر ومتوائم معه كما يردد البعض، ولا أعتقد أن أحداً سيجادل في القيمة المعرفية لهذا العنوان، أي الخطاب الديني والتربوي، بقدر ما ستثيره اشكالية ربطه بعلَم يجهله الكثير من المهتمين بتطور الجدل حول هذا الخطاب على الخصوص، وزيادة

على ذلك فإن القليل من المهتمين والمؤرخين بهذا الشأن من يدرك أن تاريخ الجزائر حافل بأعلام ومصلحين ودعاة كانت لهم اسهامات في باب التجديد الديني والفكري والدعوة إليهما، ولعل من أبرزهم في النصف الأول من القرن العشرين الشيخ محمد العربي بن التباني السطيفي الجزائري . إمام الحرمين الشريفين.

لا ريب أن نوعية الشخصيات والأسر التي غادرت الجزائر أثناء المراحل الأولى للاحتلال الفرنسي كانت في الغالب على مستوى عالي من الرقي والمنزلة، ويكفي أن نستحضر أسماء وسير بعض تلك الشخصيات والأسر المهاجرة ونتعرف على شيء مما قُدِّر لهم أن يُنجزوه في ديار مغترَبهم وما ظفروا به من اعتبار حيثما حلوا، لندرك حجم الخسارة التي مني بها الوطن نتيجة ظاهرة الهجرة التي عرفها يومذاك.

وعلى الرغم مما يُقال عن أحوال المسلمين عامة خلال فترة نهاية القرن(١٩)م وما قبله فإن الجزائر كانت تتوفر على احتياط هام من الكفاءات مما يدل على أن العطاء الثقافي في الوطن لم يكن شحيحًا ولا عقيمًا، وإنما على العكس من ذلك كان عطاءً مثمرًا؛ بدليل أن تلك الزمر من حملة العلم المهاجرة في تلك المراحل كانت زمرًا مهمة من حيث النوعية والكفاءة، وأنها أثبتت مستواها ببروزها في البيئات حيث حلَّت واكتسبت الشأن والمكانة[١]. ثم كان لهجرتها أو لتهجيرها الأثر السلبي العميق على الحياة الثقافية والعلمية بالحواضر الجزائرية.

ذلك أن هجرة العالم لا تعني هجرة فرد أو أسرة إنما هجرة مكتبة تضم نفائس المعرفة إلى موطن الهجرة، مما اضطر الأجيال اللاحقة من طلبة العلم الجزائريين وتحت ضغط الظروف الاجتماعية والسياسية والعلمية والدينية المصاحبة للصدمة الإستعمارية إلى الهجرة، ومن المؤكد أنه كان في مقدمة تلك الظروف؛ عدم وجود مدن علمية زاهرة[٢] تشرأب لها أعناق المتعلمين، فمدينة الجزائر وهي العاصمة آنذاك كانت معدومة النشاط العلمي، وقد وصفها الرحالة العبدري حينما زارها نهاية القرن ١٩م، بقوله: « وقد دخلتها سائلاً عن عالم يكشف الكربة، أو أديبٍ يُؤنس الغُربة فكأنني أسأل عن الأبلق العقوق أو أحاول تحصيل بيض النوق»[٣]، ولعل هذا هو سبب هجرة الشيخ العربي بن

التباني، فالرجل كان نابغة زمانه في الحفظ والفهم والإدراك ولذا رأى أو سار على رأي شيوخه بضرورة الاستزادة من العلوم الدينية والدنيوية، والتي يبدو أن شغفه بها لم يتحقق في المعاهد والمدارس العلمية الناشئة على ذلك العهد بالجزائر المستعمرة، والتي تأثرت سلباً بالاتجاه الجديد لعملية التعليم والتعلم التي هيمنت عليها الطرق الصوفية (الراشدة منها والضالة)، ونحن هنا لسنا بصدد الحكم عليها لكن الأكيد أنها كانت تبسط يدها على أغلب زوايا ومعاهد العلم في الجزائر.

وعلى العموم فإن عدم وجود مدن علمية زاهرة بالقطر الجزائري كانت دافعاً قوياً للهجرة والتغرب لكثير من طلبة العلم حينها والأمثلة على ذلك كثيرة وليس هذا مقامها[٤]، فمترجمنا عندما هاجر إلى تونس كان عمره حينها لا يتجاوز ١٥ سنة، ورغم حداثة سنه (وكان عمره عندما وطأت قدماه الحرم المكي لا يتجاوز ٢٠سنة) إلا أنه لم يلبث أن تصدى للتدريس بمدرسة الفلاح في مكة المكرمة والحرم المكي ، وهذا ما يُوحي لنا بعبقرية هذا الرجل وعلو كعبه في شتى العلوم التي درَّسها وألَّف فيها، مع العلم أنه ألّف أول كتاب له وعمره ٢٦سنة، وهو ما جعلنا نجزم منذ البدء أن أهم سبب في هجرته المبكرة – وبحسب تعبير العبدري– هو أنه افتقد في زمانه لعالم يكشف له الكربة، أو لأديبٍ يُؤنس له الغُربة.

٢. **إشكالية البحث:** إن موضوعنا هذا والموسوم بـ: **الخطاب الديني والتربوي في فكر الشيخ محمد العربي بن التباني الجزائري**، موضوع شائكةٌ جوانبُه، عويصةٌ طرائقُه، متشعبةٌ عناصرهُ أيّما تشعّب، لأنه يخوض في أمر التاريخ والمجتمع والثقافة والفكر والحضارة والإصلاح بأنواعه المختلفة، أي أنه يخوض في موضوع تطور الفكر الإسلامي العربي الحديث والمعاصر. فلابد إذن من طرح تساؤلات جمّة تتعلق بجوانب مهمة في المسيرة العلمية الحافلة لهذا العلم، كيف يمكن أن نقرأ الفكر التجديدي للشيخ محمد العربي بن التباني؟ وكيف قدَّم أطاريحه التجديدية في أساليب التعليم ومناهج التربية؟ وفي طرق الدعوة وأدوات الإصلاح؟ وما هي أوجه التجديد لديه في أساليب التعليم و مناهج التربية؟

٣. **الفرضية البحثية:** تفترض الدراسة – بالاعتماد على جملة المصادر الأولية والتي هي في النهاية الكتابات التاريخية والشرعية والفكرية للمترجم له – أنه كان للشيخ بن التباني دوراً مؤثراً في بناء قواعد وأسس الخطاب الديني والتربوي الحديث في المنطقة العربية، كما ساهم بشكل مؤثر من خلال محاضراته في مدرسة الفلاح وفي غيرها من مؤسسات التعليم بالعالم الإسلامي، ومن خلال تراثه الأدبي والتاريخي أيضاً في إعادة بناء الخطاب التاريخي بعد مراجعة وتنقيح المادة الأولية لهذا الخطاب.

٤. **المنهجية البحثية المتبعة:** تقوم منهجيّة البحث على منهجين هما: المنهج التاريخي ومن خلاله عملنا على استرجاع واسترداد معطيات الماضي لنتحقق من مجرى وسير الأحداث، ولنُحلل جملة المشكلات البحثية التي طرحها الشيخ بن التباني بدايةً، بهدف تعقّب الظاهرة ومتابعتها تاريخيًا، ومراجعتها من خلال مصادرها المختلفة التي استند عليها، مع تحليل البيانات والمعلومات المتعلقة بها، وكذا عرض النتائج للنقد والتحليل للتعرف على مصداقيتها ودقتها، كما استندت الدراسة على المنهج المقارن بهدف استخراج المفاهيم الدراسية والنصوص المنهجية من مصادرها، معتمدين في ذلك على التحليل الفكري والمعرفي القائم على معرفة أنماط الدراسات المختلفة، وهو ما سيساعد على فهم النص الذي نقوم بدراسته، وذلك من خلال المقارنات التي توضح نقاط الالتقاء، ونقاط الاختلاف الموجودة.

٥. **خطة البحث:** وبناءً على ما سبق ولمعالجة إشكاليات هذه الدراسة البحثية تم تبني الرؤية الآتية:

١. التعريف بالشيخ محمد العربي بن التباني الجزائري.
٢. توطئة في مفهوم وغايات الخطاب الديني والتربوي عند بن التباني.
٣. التجديد في خطاب الدعوة وأساليب الإصلاح.
٤. التجديد في أساليب التعليم و مناهج التربية.

١. التعريف بالشيخ محمد العربي بن التباني الجزائري:

هو الإمام العالم العلامة المحدّث الفقيه "سليل الدوحة النبوية المباركة" محمد العربي بن التباني[٥] بن الحسين الجزائري الحسني المالكي بن عبد الرحمن بن يحيى بن مخلوف بن أبي القاسم بن علي بن عبد الواحد[٦] ... وفي

أحد التقاييد للشيخ العربي بن التباني يرفع نسبه إلى إدريس الأكبر ويجعله حسنياً[٧].

ولد مترجمنا «بقرية (الشلخة) من أعمال أولاد عبد الواحد ناحية رأس الوادي[٨] شرق الجزائر سنة ١٣١٥هـ /١٨٩٨م»[٩] ، حيث «نشأ في كنف خاله السعيد بن العيساوي(١٨٧٨-١٩٧١)م مؤسس زاوية الشيخ العيساوي ومدرستها القرآنية»[١٠]، ذلك أن والده توفي وهو صغير، فكفله خاله، وتحت رعايته حفظ القرآن الكريم في كتّاب قريته رأس الوادي، وما إن أتم حفظ القرآن الكريم وعمره أثنا عشر عاماً (عام ١٩٠٩)[١١]. وبعد تلقيه مبادئ بعض الفنون شدَّ الرحال إلى جامع الزيتونة بتونس، ومنها انتقل إلى الحرمين الشريفين إلا أنه بقي يتردد على الزاوية والمسجد العتيق، وكان يُلقي بهما الدروس ويتعاون مع خاله في حلِّ مشاكل الناس بحنكتة وعلمه.

إذن تكوين ابن التباني الطالب كان تكويناً دينيًا ولغويًا وأدبياً يستمد جذوره من الثقافة التراثية، وهو تكوين تُجسِّده الكثير من المؤلفات التي درسها وحفظها. ويتجلى نبوغه في أنه استطاع على غرار الطلبة المتفوّقين، اختصار مراحل الدراسة والسفر مباشرة إلى جامع الزيتونة، حيث رحل إلى تونس العاصمة عام ١٣٣٠هـ-١٩١١م وعمره لم يتجاوز ١٥ عاماً ولا ندري إن كان قد توقف في طريقه إليها بمعاهد وزوايا العلم المنتشرة في الشرق الجزائري والغرب التونسي كقسنطينة وتبسة ونفطة....، حيث قضى في جامع الزيتونة أشهر معدودة بدون دفتر، أي أنه لم يكن مسجلاً في دفاتر الجامع أو في أحد فروعه بل كان مستمعاً حراً كعامة الناس، ذلك أننا لم نعثر في أغلب ما تناولته أيدينا من سجلات وأرشيف جامع الزيتونة المشتتة والمبعثرة في عدة أماكن منها الأرشيف الوطني، ومبنى إدارة التجهيز بمقرين، والكلية الزيتونية وفي أماكن أخرى. على أي وثيقة تُثبت انتظام الطالب ابن التباني بجامع الزيتونة.

والمصادفة هو أن «رحلته هذه إلى تونس قد توافقت مع رحلة عالم الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس أيضاً الذي سبقه إليها بثلاث سنوات (١٩٠٨م) وكان على رأس قائمة الخريجين في شهادة التطويع عام ١٩١١م[١٢]، وجاء ثامناً الجزائري الآخر زين العابدين ابن الشيخ الحسين (أخ الخضر حسين والمكي بن الحسين شيخ جامع الأزهر)»[١٣].

وبعد هذه الرحلة سافر مرة ثانية إلى مكة المكرمة أولاً وهو الأرجح، وكان ذلك عام (١٣٣٢هـ- ١٩١٤م) لأن هناك من ذكر بأن رحلته العلمية في

الحجاز بدأت بالمدينة قبل مكة وهذا خطأ، فاستناداً إلى جملة من المصادر الموثقة نجد من تطابقها أن الرواية القديمة خاطئة، وتعلمه بالمدينة المنورة إنما كان بعد عودته من الشام التي فرَّ إليها اضطراراً حيث أخذ طريق الحج (معان- المدينة) وبمكة المكرمة لازم كبار علمائها؛ خاصة منهم علماء المالكية بالحجاز؛« كالعلامة **أحمد بن محمد خيرات الشنقيطي**[١٤]، والعلامة **حمدان بن أحمد الونيسي** المتوفى عام (١٣٣٦هـ-١٩١٧م)»[١٥]، والشيخ **عبد العزيز التونسي** المتوفى عام (١٣٣٦هـ.-١٩١٧م)، واللغوي الشهير **محمد محمود الشنقيطي**. الذي قرأ عليه المعلقات السبع، ونظم أنساب العرب للبدوي الشنقيطي وله مشايخ آخرون .

وبعد دخول الشريف حسين بن علي المدينة المنورة، ارتحل إلى دمشق الشام، كما خرج من المدينة أكثر سكانها منها بحكم تداعيات الثورة العربية الكبرى التي كان يقودها الشريف حسين وأولاده ضد الدولة العثمانية وبدعم من بريطانيا وفرنسا، ومن الراجح أن الشيخ العربي ابن التباني إنما ولائه كان لدار الخلافة وهو أقرب في عاطفته إلى ما دعا إليه الشيخين الطيب العقبي والبشير الإبراهيمي في نصرتهما للجامعة الإسلامية، ومواجهة المد القومي المناهض لفكرة الخلافة الإسلامية، والذي تزعمه الشريف حسين، لهذا نجد أن مصير الثلاثة كان واحداً، وهو الفرار من الحجاز مخافة انتقام زعماء الثورة الشريفية منهم، وفي ذلك يقول في سيرته: «بعد نهضة الشريف الحسين بن علي على الترك ارتحلت إلى دمشق الشام، كما خرج من المدينة أكثر سكانها منها بحكم الضرورة الحربية على الناس»[١٦]، ومن جهة أخرى نجد أن الشيخ ابن التباني كان متأثر أيما تأثر بفكر شيخه مشتاق أحمد الهندي؛ هذا الأخير كان من علماء المسجد النبوي الشريف في بداية القرن العشرين، وكان من أكبر المعارضين للثورة العربية الكبرى مما أدى إلى نفيه إلى مالطا أولاً ثم إلى الهند، وهناك تولى رئاسة العلماء بمدينة ديونيد[١٧].

وفي دمشق الشام، التي مكث فيها أشهراً في ظروف عصيبة لم يتمكن من الدراسة على علمائها، غير أنه كان يتردد على مكتبة الملك الظاهر المعروفة بالظاهرية، وفي أحيان كثيرة كان يزور دار الحديث الأشرفية، ثم لم يلبث أن خرج من دمشق قاصداً أم القرى والحروب لازالت تشتعل، فقطع طريقاً

ممتلئاً بالمخاطرات وتحمَّل فيه المكابدات، إلى أن وصل مكة المكرمة في عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م.

وفي «عام ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م عُين مدرساً بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة نظراً لتفوقه ونبوغه فاشتغل بالتدريس تحت أروقة الحرم المكي الشريف، فتخرّج من تحت يديه تلاميذ كثر أصبحوا بعده قناديل تضيء ساحات الحرم، منهم العلامة الكبير سيدي محمد علوي المالكي الحسني المكي الذي يلقب بـ محدّث الحرمين»[١٨].

وللشيخ زيارات عديدة إلى بعض البلدان العربية، حيث تعددت وتنوعت أهدافها غير أنها في الأغلب كانت له معيناً وزاداً إضافياً دعَّم به جهوده العلمية والتعليمية؛ أكثرها كانت إلى مصر والشام والجزائر وتونس والسودان، وهذه الرحلات كانت في الأغلب لأهداف علمية، ولهذا فهي تُعد من مصادر تكوينه العلمي رغم أنه كان في بعضها غايات أخرى، وبحسب المراسلات التي بين أيدينا فإن الشيخ ابن التباني قد زار الجزائر عدة مرات منها ثلاث مرات مؤكدة بعد الاستقلال «١٩٦٢-١٩٧٠» منها: خلال الفترة «صفر ١٣٨٦هـ-جوان ١٩٦٦م» وخلال الفترة «١٣٩٠هـ-١٩٦٩م » بحسب ما نملك من وثائق حالياً.

وبعد حياة حافلة بالإنجازات درَّس خلالها تحت أروقة الحرمين المكي والمدني أصيب في آخر عمره بالفالج[١٩].«وهو شلل اعتراه بلسانه وشقه الأيمن» ولم يمكث طويلاً على هذه الحال ليتوفى يوم الخميس الثاني والعشرون من شهر صفر عام ١٣٩٠هـ /أبريل ١٩٧٠م بمكة المكرمة، وصُلِيَ عليه بالمسجد الحرام ودفن بمقابر المعلاه»[٢٠] في «شعبة النور بجوار قبر السيدة أسماء الصديقية " ذات النطاقين"»[٢١].

وللشيخ مصنفات كثيرة نافعة ومفيدة رغم رأيه المذكور في التصنيف، حيث كان يكتب غالبًا من أجل تصحيح بعض الأخطاء والرد على المخالفين، من مؤلفاته: (تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعليقات الكوثري[٢٢]- وتحذير العبقري من محاضرات الخضري أو إفادة الأخيار ببراءة الأبرار [٢٣](جزآن)- وبراءة الأشعريِّين من عقائد المخالفين[٢٤]. (جزآن): وصدر باسم أبي حامد مرزوق- واعتقاد أهل الإيمان بنزول المسيح ابن مريم عليه وعلى نبينا

السلام آخر الزمان[٢٥]- ومحادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب.(جزء واحد)[٢٦]- وخلاصة الكلام فيما هو المراد بالمسجد الحرام[٢٧]- وإسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات[٢٨]- والتعقُّب المفيد على هدي الزَّرعي الشديد. وصدر أيضاً باسم أبي حامد مرزوق- وحلبة الميدان ونزهة الفتيان في تراجم الفتّاك والشجعان- وإتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة[٢٩]، علَّق عليه الأستاذ رضا غمور. (وفيه ذكر سيرته بخط يده)- والنقد المحكم الموزون لكتاب (الحديث والمحدثون)، وصدر أيضاً باسم أبي حامد مرزوق).

والكتب المذكورة كلها طبعت أكثر من طبعة واحدة، ومما طُبع له ولم نعثر له على أثر سواءً في داخل الجزائر أو في خارجها في حدود ما نعلم: (براءة الأبرار ونصيحة الأخيار من خطل الأغمار، ومختصر تاريخ دولة بني عثمان- وإدراك الغاية من تعقُّب ابن كثير في البداية- وتاريخ العرب قبل الإسلام. وقد ذكره الشيخ يوسف إسحاق حمد النيل في تقريظه لكتاب النصيحة والاستدراكات)[٣٠]، ولم يؤلف الشيخ ابن التباني -رحمه الله- على الرغم من تمكُّنه من علوم مختلفة إلاّ بعد أنْ مارسها تدريسًا عقدًا كاملاً من الزمن، في مساجد مكة المكرمة تدريسًا حرّا، ثمّ في مختلف المساجد والمدارس الشرعية في المملكة السعودية وفي غيرها، ولاقت هذه المؤلفات قبولاً واسعًا لدى طلاب العلم، واستبشروا بها خيرًا، وبالمقابل أحدثت زلزالاً عنيفًا في صفوف خصومه ومن يدور في فلكهم.

كما أن هذه القائمة تستند في توثيقها إلى سيرته الذاتية التي كتبها صاحبها عام ١٩٥٠م، بما معناه هل يمكن أن يتصور عاقل أن ابن التباني وبعد أن اكتملت شخصيته العلمية وتمكَّن من ناصية الكتابة والتأليف أنه لم يؤلف بعد عام ١٩٥٠م؟ أي أنه ألَّف ١٥كتاباً ورسالة في ٢٢سنة، ولم يؤلف ولو رسالة واحدة في ٢٠ سنة الأخيرة من عمره. وهذه دعوة أخرى للباحثين في سيرة الرجل أن يجيبوا على هذا السؤال. وبخلاف كتاباته النثرية فللشيخ ابن التباني إسهامات شعرية أيضاً إلا أنه كان لا يكشفها للناس عادةً على ما قيل لنا من أقربائه.

له قصيدة نادرة غير معروفة أرسلها في ذي القعدة ١٣٦٧هـ- ١٥

أكتوبر ١٩٤٨م، في رسالة عزاء إلى خاله الشيخ السعيد بلعيساوي يرثي فيها ابن خاله السيد محمد العربي بن السعيد المتوفي في ١٠شوال ١٣٦٧هـ- أوت ١٩٤٨م. جاء في مطلعها:

لك الله حقاً في الأمور العظائم فصبراً على مر النوى والدواهمِ
لك الله عوناً في حياتك كلهـــــا عزاءً غزاءً ذا التقى والمكـــــارمِ

٢. توطئة في مفهوم وغايات الخطاب الديني والتربوي عند بن التباني:

أصبح الحديث عن تجديد الفكر الديني متداولاً بشكل كبير في مجتمعاتنا العربية والإسلامية اليوم وصار يستقطب الكثير من الاهتمام في الأوساط المثقفة، خصوصا تلك المهتمة بتطوير خطاب ديني مواكب للعصر ومتوائم معه كما يردد البعض، لا أحد يجادل في أهمية هذا العنوان، أي تجديد الفكر الديني، إلا أن هناك العديد من الأسئلة التي ينبغي الإجابة عليها قبل الحديث في التجديد أو المطالبة به، ولعل من أهم الأسئلة التي ينبغي أن تطرح في هذا الموضوع هو سؤال: لماذا الخطاب الديني والفكري؟

غالبًا ما يكون الحديث عن التجديد دون تحديد دقيق للمصطلح، مما يعني غياب الإطار المفاهيمي واختلاف التصورات والاستنتاجات تبعًا لذلك. فمن السهولة أن ندعو للتجديد العائم الغائم فيستقطب خطابنا الكثير من المؤيدين الذين لكل واحد أو فئة منهم تصور خاص عن التجديد يختلف عمَّا لدى الآخر، وربما يتعارض معه أشد التعارض. لذا فإنه يلزم من ناحية منهجية تحديد مرادنا من التجديد قبل الخوض فيه مطالبةً أو تأييدًا أو معارضة.

البعض يعني بالتجديد الديني مثلاً؛ استحداث أدوات جديدة لقراءة النص الديني، والاستفادة من النظريات الجديدة في حقل علم المعرفة، وهو ما قد يقود إلى نتاج جديد على صعيد الرؤى والفتيا؛ والبعض يعني به إحداث تغيير في الخطاب الديني ليكون أقرب إلى حاجات الناس وإفهامهم. بينما يرى بعض آخر أن التجديد هو تبديل بعض القوانين والأحكام الشرعية التي لا تتوافق من وجهة نظرهم مع العصر بأخرى أكثر ملائمة؛ إما بحجة تعارضها مع بعض مقررات حقوق الإنسان ذات المرجعية الغربية، والمعترف بها عالميًا، أو بحجة عدم صلاحيتها باعتبارها أحكاما تاريخية كانت تخاطب مجتمعًا وحاجات

مختلفة، كما يقولون. ويرى بعض رابع بأن التجديد مساوق لمخالفة السائد، فكل نتاج يتوفر على عنصر المخالفة يعتبر تجديدًا بغض النظر عن مدى وجاهة المخالفة وعلميتها. وهكذا...

إن مواجهة التحدي الحضاري المتمثل في منظومة الحضارة الغربية الفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وأسسها الفلسفية، يتطلب قدراً من الوعي والمعرفة بأصول حضارتنا ومكامن قوتها، فهذه الحضارة التي نتفاعل مع منتجاتها طوعًا أو كرهًا تتدخل في تفاصيل حياتنا، وتعيد صياغة عقولنا وترتيب أولوياتنا، وتُطعمنا بالكثير من المفاهيم، وتسقينا ما تشاء من القيم. و«حتى نحد من الاستلاب الحضاري أو نمنعه ينبغي القيام بعملية تجديد في الفكر بكل أصنافه، وفي مختلف الحقول وإنتاج نظريات مستنبطة من الأدلة الدينية تقدم البديل الموازي، سواء في حقل الفكر أو التربية أو الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد أو غيرها»[٣١].

غير أن الحاجة لتجديد الخطاب الديني والتربوي تتطلب أمرين هما: العمل على توعية الناس بدينهم وحضارتهم؛ ثم بواقعهم حتى يكونون أقرب إلى لغة عصرهم، فالخطاب الديني المتمثل في الفتاوى والخطب والدروس الوعظية التي يرجع لها عامة الناس لكي يأخذوا منها أحكام دينهم، ينبغي من وجهة نظر الداعين لهذا تبسيطها وتخليتها من التعقيد اللفظي والمعنوي ومن الإصطلاحية المعقدة كي تحقق أهدافها بسهولة، والأمر نفسه ينسحب على الحقول الأخرى وخصوصاً منها التعليمية والتربوية، ومن وجهة نظري – كما سنرى– فإن خطاب بن التباني لا يخرج عن هذا الإطار بالمطلق.

لقد جمع ابن التباني في فكرته التربوية والنهضوية بين مختلف اهتمامات العصر، التي تشغل بال أمته، مثل: إصلاح الدين، ونشر وتطوير اللغة العربية، وبعث التاريخ الصحيح للأمة وإحياء أمجادها في نفوس الناشئة، والتعامل مع الحضارة الحديثة، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وإعادة الثقة إلى الأمة بنفسها، ونشر العلوم والمعارف واستحداث مناهج تربوية جديدة تبعث على التغيير المستمر، إلى غير ذلك من القضايا الحساسة، التي كان المجتمع يفتقر إليها، خلال عصره.

وتُعد الأخلاق عند ابن التباني، ميدان مهم من الميادين التي ناضل فيها

لخدمة "الأمة" والمجتمع، حيث ركَّز عليها في حركته التربوية المناهضة للفعل الإستعماري، الذي كان سبباً في انتشار الجهل وانحراف النفوس والعقول، وفساد العقيدة الدينية، وبما أن الأمم بالأخلاق، إذا صلحت أخلاقهم صلحوا، وإذا فسدت أخلاقهم فسدوا، فإن ابن التباني اهتم بهذا الجانب، وذهب إلى التأكيد على أن الأخلاق تنبع من داخل الفرد، وبالتالي يجب العناية بإصلاح هذا الداخل قبل كل شيء، حتى يتمكن الفرد من إصلاح حاله من الخارج، وذلك طبقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٣٢].

والظواهر عند ابن التباني دلائل على البواطن، فإذا كان باطن الفرد صالحًا ومستقيمًا، كان ظاهره كذلك وليس العكس، ومن هنا ركَّز عمله في التربية على محاولة إصلاح ضمائر ونفوس الناس عامتهم وخاصتهم، حتى تكتمل الشخصية الإنسانية لديهم من الناحية الأخلاقية أولاً، وبعد ذلك بقية النواحي الأخرى، وفي هذا الإطار عني ابن التباني من خلال كتابه المتميز "نزهة الفتيان في تراجم بعض الفتاك والشجعان" بتربية الشباب المسلم، تربية أخلاقية قويمة في المدرسة والمجتمع، من خلال ذكر الخصال النبيلة والمآثر الحميدة للعرب حتى قبل البعثة المحمدية كخصلة الكرم والجود والشجاعة والمروءة..ولأن التربية هي العاصم للفتى والفتاة من الانحرافات الخلقية والوطنية، ولأن الشخص الذي لا يستطيع أن يوجه سلوكه بنفسه، لا يمكن أن يؤتمن على مصالح الأمة والوطن، ومن هذا المنظور كان ابن التباني وفي خطاب تربوي بسيط يعمل على المحافظة على التراث العربي الإسلامي، باعتباره فناً أو نشاطاً من أهم أوجه النشاط في المجتمع، ومن هذا المنطلق أيضاً حدَّد الأهداف التربوية في اسهاماته التعليمية والتأليفية.

ومن هنا يبدو لنا ابن التباني مصلح توفيقي، يعمل في إطار الأصالة والمعاصرة، ومربّي إسلامي، لذا فإنه يستمد مقومات فلسفته في الإصلاح الديني والخلقي والتربوي من روح الحضارة الإسلامية، ثم من واقع المجتمع، في ظل المعطيات الجديدة التي جاءت بمبادئ الحضارة الحديثة وعلى ذلك فإن أهدافه وغاياته التربوية، تتطابق في عمومها مع أهداف التربية الإسلامية، وتضيف إليها مبادئ التربية الحديثة.

إلا أن التربية عند ابن التباني تختلف عن التربية عند الغرب الأوروبي

مثلاً، لأن التربية عند هذه الشعوب، تهدف إلى استقرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، أما التربية عند المصلح الجزائري فإنها تهدف إلى إصلاح الواقع إصلاحاً جوهرياً في كافة مناحي الحياة، نظراً لارتباطها بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي كانت قائمة في الأمة العربية والإسلامية قبل خضوعها للاحتلال الأوروبي، بل ولعدم وجود منهجية تربوية، تتفق مع مقومات الأمة وخصائصها التاريخية بالمرة، «لأن المجتمع الإسلامي في تلك المرحلة، كان ما يزال يعيش في ظل سمات العصور الوسطى الأوروبية، بل كان معزولاً في غالبيته العظمى عن كل المراكز والمدن الحضارية، التي مسَّتها مسحة الحضارة الحديثة»[٣٣] ولكن هدفه بالتأكيد هو إصلاح هذا الوضع من مختلف عناصره السلبية، وإيجاد مجتمع جديد من جميع نواحيه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها.

وإذا كان هدف هذا المصلح هو إصلاح بنية المجتمع وتطويره، فمن الأحرى – إذن– أن يبدأ بالعنصر الأساس لعملية الإصلاح، وهو الإنسان أصل كل حضارة وصانعها، ونحن عندما نقول الإنسان إننا لا نعني الرجل وحده، وإنما نعني الرجل والمرأة على حد سواء، لأن ابن التباني قد اهتم في عمله التربوي بإعداد العنصرين معاً للحياة، وبناء الإنسان لا يقتصر في نظر المصلح الجزائري، على النواحي الروحية العلمية فحسب، بل يتعداه إلى بناء شخصيته وتكوينها تكويناً متكاملاً في جوانبها المعرفية والخلقية والذوقية والاجتماعية، وهنا يؤكد ابن التباني وظيفة التربية في أنها تستهدف تقدم الإنسان في جسمه وعقله وسلوكه وأخلاقه.

٣. التجديد في خطاب الدعوة وأساليب الإصلاح:

لم يكن الشيخ بن التباني مجرّد عالم مدرّس فحسب، بل كان صاحب مشروع إصلاحي، قائم على وعي كامل بالواقع، الذي يعيش فيه هو وأمته، فهو ما إن استقرّ في الحجاز، حتى امتلك زاداً كبيراً من العلم الشرعي الأصيل، كما حاز من خلال رحلاته الكثيرة وصداقاته المتنوعة على ثقافة ووعي كبيرين، زادته إيماناً إلى إيمانه بوجوب تنسيق الجهود الإصلاحية، مع كلّ من يعمل في هذا المنحى بإخلاص حتى لا يذهب جهادهم وجهودهم في مهب الريح، والعدو لهذه الأمة أهدافه واحدة، وإنْ اختلفت صوره، وأشكال مخططاته.

وأول محور بدأ العمل فيه هو إشاعة العلم الشرعي بين أفراد المجتمع، الذي بدأت تظهر فيه آثار الجهل والتخلف، التي تقضي بتجميد التعليم المتنور، وتناقصت بشكل رهيب بعد فترة قصيرة، فأشاع العلم بدروسه الحرّة عبر المساجد، وفي المدارس التي كان يدرّس فيها ثم بمدرسة الفلاح.

كما طلب من المدرّسين حسن اختيار المناهج، التي تؤتي ثمارها، وأن يجددوا فيها، فالمجتمع دائم الحركة، وما كان صالحاً منها بالأمس، قد لا يصلح اليوم. ولم يكن الشيخ ممن تستهويه الخطب العصماء، واعتلاء المنابر في كلّ نادٍ دون أن يكون رائدًا وسبّاقًا إلى الامتثال إلى ما يدعو إليه أولاً، فهو كان ممارسًا للتدريس ومؤلفاً لمادة العلم الذي يدرّسه وفق المنهج الذي يراه مناسباً لمستوى التلاميذ وطلاب العلم، فكَثُر الإقبال على دروسه وعَظُم الأخذ عنه وتنوعت مؤلفاته في فنون العلم المختلفة فأثرى المكتبة بها، وصار بحق شيخ الحرمين ونسابتها كما كانوا يُلقبونه وصار الأخذ عنه مدعاةً للفخر.

والمحور الثاني الذي لا يقلّ خطورة عن الأول، هو محور العقيدة، التي لها انعكاساتها على السلوك الاجتماعي، إيجاباً أو سلباً، لهذا أولاها اهتماماً خاصاً في دروسه المدرسية لغرسها في النشء صحيحة، كما أثرت عن السلف الصالح من هذه الأمّة، وألّف في ذلك جملة من الكتب: (براءة الأشعريين من عقائد المخالفين)[٣٤]، و(اعتقاد أهل الإيمان بنزول المسيح آخر الزمان)[٣٥]، و(تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعليق الكوثري)[٣٦] وفي هذه الكتب الثلاث بالذات كان يردّ على الشبهات التي كان يلقي بها المستشرقون والملحدون والمنصّرون وأصحاب الأهواء من المسلمين.....في عقول طلاّب المدارس والجامعات.

وأمّا العامّة فقد «خصّهم في دروسه المسجدية، التي كان يعقدها في كثير من المساجد والنوادي سواء في الحجاز أو في الجزائر أو في الشام وتونس أو أينما حلَّ وارتحل، لتعليمهم أمور دينهم، حيث كان يبدأ التدريس من بعد صلاة الفجر وانفلاق نور الصباح إلى ما بعد صلاة العشاء، ولا يقل عدد الحاضرين له في الحلقات الموجهة للعامة أقل من مائة نفس..»[٣٧]، وفي ذلك كان يُولي العقيدة اهتماماً خاصّا، فيُصححها في عقولهم، ويربطها بالمعين الصافي، كما فهمه سلف هذه الأمّة، ويحارب البدع التي ألصقت بالدين جهلاً

وتشجيعاً، والتي كان منها جر رقاب الناس على الإعتقاد أنّ الاستعمار قضاء يجب التسليم به، فقعدوا عن الجهاد إلاّ قليلاً، ومما يجب التنبيه عليه أنّ الشيخ لم يكن يصنف الطرق الصوفية في خانة واحدة، بل كان منصفاً . وهذا ديدنه في حكمه عليها، فالطرق ليست سواء، فإنْ كان منها من استغل جهل المريدين، والناس بأمور دينهم؛ لتمكين العدو الغاصب، وهذا من أجل عرض زائل، فإنّ البعض الآخر منها أقام زوايا كثيرة للعلم والتربية الروحية، وكانت بحق ملاذاً وقلاعاً للجهاد والمرابطة. كما لم يكن الشيخ ضيق الأفق، لا يفكر إلاّ في وطنه الصغير، بل كان يعيش هموم كل الأمة الإسلامية التي تشابهت أحوالها وإن اختلفت أقطارها.

أما في باب التجديد في التأليف والنشر، فللشيخ العربي بن التباني رأي مخالف لمعاصريه، حيث جاء في حاشية كتابه (محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب)[٣٨]: «لا أميل إلى التأليف كثيرًا عملاً بنظرية القائل ما ترك الأول للآخر شيئًا، وكادت هذه النظرية أن تكون صحيحة منطقية عندي على العلوم العربية والشرعية بجميع فنونهما، فمنذ قرون متعددة انقطع المستنبطون والمجددون والمستخرجون للنكت البديعة في هذه الفنون وصار المؤلف الحاذق الذي يستطيع أن يخلص كلام السابقين من المصنفين ويخرجه للناس في أسلوب حسن، وهذه الطائفة الحاذقة في التلخيص والتمحيص يمكن أن يقال أنهم بقوا بكثرة وافرة إلى آخر المائة العاشرة وبعدها صار المؤلفون يعمدون إلى الكتب المبسوطة السلسة العبارة، السهلة الفهم فيعقدونها مبالغة منهم في الاختصار قالوا وربما ألَّف في فن من الفنون من لا يحسنه، ومن أصح علم من تقدمًا....هذا وإني مع قلة بضاعتي في هذه العلوم التي قتلت بحثاً ونقلاً ولم يبق فيها مقال لقائل أدرجت نفسي في عداد المؤلفين فيها، فلي عدّة رسائل .....وغاية أمري فيها إفهام الناس مرادي ورد جوابهم بقدر المستطاع، والنظم لا حظَّ لي فيه وقريحتي فيه كليلة أستطيع بعض الأحيان نظم البيتين أو القطعة عند صفاء الفكر».

إن ثقافة الشيخ ابن التباني في بداية نشأته التعليمية كانت محلية طابعها العام أنها دينية ولغوية وأدبية تستمد من التراث وتحاكيه، ثم طعَّمها بثقافة مشرقية حجازية، وساعده تمكُّنه اللغوي والتاريخي..من دمجها مع رصيده

الديني والفكري فكانت النتيجة جملة من المؤلفات التي درَّسها أو اجتهد في إنتاجها ثم استوحى منها عدد من الكتب والمقالات والرسائل كان لها تأثير في كتاباته.

«إن هذه الآثار تعكس ثقافته وتختلف دواعي إنتاجها، فمنها الذي أنتجه استجابةً لطلب أصدقائه أو المسئولين عنه في مدرسة الفلاح»[٣٩]، ومنها الذي ألّفه نتيجة لتدريسه أو محاضراته التي كان يلقيها في حِلق الدرس وعرصات المساجد، وأخيراً منها الذي أنتجه بسبب كثرة حواشيه وتعليقاته على جوانب وهوامش بعض ما قرأه من كتب ومؤلفات صادرة (سواءً كان أصحابها أحياءً أو أمواتاً)، ثم رأى أن يجمعها في رسالة أو كتاب ليرد بها على خطل صاحبها أو ليُصحح ما وقع فيها من زلل وخطأ، وينبّه الناس إلى عيوبها وضررها.

ثم أن المسألة تتطور معه إلى التدقيق أكثر فيرجع إلى القراءة والتدقيق والتثبُّت من عيون المصادر والمراجع التي تدور إشكالياتها حول المحتوى المقصود بالرد والنقد، وبعد أن يتوسَّع في القراءة والمطالعة يُمعن فيها العقل والمنطق فيخرج العمل التأليفي وقد استوفى أغلب جوانبه، وحتى بعد طبعه ونشره، يلجأ ابن التباني إلى نقد وتمحيص مؤَلَفه الذي طُبع، فيعمل على تعديله وتغييره وكأنه ينشد الكمال في جهده التأليفي، وفي كثير من الأحيان فإن غربال النقد يطال حتى العنوان الرئيس للمؤَلَف الذي صدر في الطبعة السابقة، وهو الأمر الذي أخلط عليَّ عملية مراجعة تراثه، فتجد خطة المحتوى المدوَّن تكاد تكون متشابهة، لكن تختلف في العناوين، والتي قد تصل حتى إلى ثلاثة عناوين بعنوان لكل طبعة كما حدث مع كتاب «النصيحة والاستدراكات على كتاب المحاضرات» الذي طبعه أول مرة في عام ١٩٣٩م رداً على محاضرات الخضري، ثم رأى تغيير عنوانه مع التوسُّع في بعض مباحثه فأصبح عنوانه الجديد هو: «تحذير العبقري من محاضرات الخضري» وفي طبعة لاحقة سمَّاه «إفادة الأخيار ببراءة الأبرار»، ليجمع هذين العنوانين الأخيرين معاً في طبعة رابعة، وهكذا دواليك، الأمر نفسه في تأليفات أخرى؛ ككتاب: «نزهة الفتيان في تراجم بعض الشجعان»، ثم أصبح في طبعة لاحقة «نزهة الفتيان في تراجم الفتاك والشجعان»، ثم استقر على عنوان آخر في طبعة تلتها «حلبة الميدان ونزهة الفتيان في تراجم الفتاك والشجعان».

وبالإمكان أن نجزم بالقول أن الدافع النقدي والتمحيصي هو أهم دافع للتأليف عند ابن التباني وهذا استئناساً بما ذكره في سيرته الذاتية بقلمه مستشهداً برأي شيخه حمدان الونيسي من «أن التأليف في زمانه ليس بمفخرة»، ولهذا يمكن أن نقول أيضاً: أن مؤلفات ابن التباني مجتمعة هي عبارة عن ردود وتوضيحات وانتقادات لا أكثر ولا أقل. وكتب الردود نمط من الكتابة عند المسلمين ناقشوا فيها بعضهم بعضًا، وردوا بها على بعضهم بعضًا ؛ إضافةً وتعليقًا، وتخطئةً وتصويبًا ...وغير ذلك.

إن من مصادر التأليف عند ابن التباني أسفاره الكثيرة، وعلاقاته الواسعة، التي أضافت إلى ثقافته الدينية واللغوية ثقافة جديدة أكثر تنوعاً وشساعة، مكَّنته من القيام بأبحاث اقتبسها، وقراءات استقاها وأفكار استنتجها، والملاحظ أيضاً في تآليفه هو ذكائه المتميّز بالمنهجية القرآنية، أي لا يأتي بالحادثة أو الرواية أو القصة... إلا إذا كان يقصد منها العظة والاعتبار، وكأنه في محل درس عنوانه النصح والإرشاد، ومن خلال تلك البساطة التي تميزت بها مطالع رسائله وخواتيمها نكتشف مدى التقدير والامتنان الواجب تقديمه لهذا العالم الفذ.

«إن الشيخ ابن التباني صاحب رأي قوي مع أدب جمْ، وتواضع كبير للعلماء الأجلاء، فهو لا يغلق الباب ولكنه ينزل أعمال المتأخرين منزلتها مقارنة بأعمال المتقدمين»[٤٠]. والمتمعن في هذا الرأي يجد الشيخ ينطلق من منطلقين أساسيين في التأليف والكتابة وهما الدقة والتوثيق، والجدية الشكلية والموضوعية. فالمطلوب دائمًا في الكتابات العلمية إنتاج وتقديم الأفضل المبني على أسس علمية حقيقية والذي يتحقق عن طريق:

- اكتشاف معلومات جديدة متعلقة بموضوع البحث و تحليلها وتركيبها و تفسيرها.
- اكتشاف معلومات جديدة إضافية عن الموضوع تضاف إلى تلك المتعلقة بالموضوع.
- «إعادة ترتيب وتنظيم وصياغة الموضوع صياغة جديدة بصورة تُعطي للموضوع قوةً وتوضيحًا أكثر مما كان عليه من قبل.
- تركيب موضوع جديد من مجموع معلومات وحقائق علمية مكتشفة ومعلومة ولكنها مشتتة ومتناثرة هنا و هناك»[٤١].

ولعل رحلتنا البحثية مع بعض رسائل ومؤلفات هذا الرجل أوحت لنا بإحدى أهم صفات ابن التباني وخصاله العلمية، وإن لم نكن من السباقين إلى كشفها؛ ألا وهي الأمانة العلمية في النقل والتثبت والدقة في الفهم والاستنتاج، والجرأة في الكشف والمواجهة عند الحق، ولعل من أساسيات أمانته العلمية أنه كان لا ينسب لنفسه ما ليس له، مع احترامٍ كاملٍ لأخلاقيات الموضوعية وقواعد المنهجية والأمانة العلمية واكتساب مزايا النزاهة والموضوعية، كالدقة في فهم آراء وأفكار الآخرين والدقة أثناء القيام بالاقتباس، والاعتماد بالدرجة الأولى على الوثائق الأصلية في الاستشهاد والاحترام التام لقواعد الاقتباس والإسناد، والتدقيق والحرص على التفريق بين مصادر وآراء الباحث وأفكاره، وآراء الآخرين حول الموضوع، ولذلك نجد الشيخ ابن التباني حريص كل الحرص على نسبة الأقوال لأصحابها لفظًا ومعنى عند تحريره للمسائل الفقهية، كما أنه من باب الأمانة العلمية أنه لا يعتمد رأي مذهب معين بتغليبه على مذهب آخر، بل نجده متفتح على كل مذاهب أهل السنة عارفًا بآرائهم، معتمدًا على أصولهم ويبدو هذا جليًا في كل كتبه ورسائله.

ففي رسالته الصغيرة «إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات» قرر ابن التباني «أن القراءة على الأموات جائزة ويصل ثوابها إليهم عند جمهور فقهاء أهل السنة»[٤٢] وإن كانت بأجرة على التحقيق، وراح يسوق آراء المذاهب الفقهية، فساق «رأي الشافعي من «شرح الروض»، وكذا الرملي على «المنهاج»، في باب الوصايا، وكذا السيوطي في كتابه «شرح الصدور» وكذا «فتاوى» شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في باب الإجارة ما يدل على جوازها، أما مذهب الحنابلة فقد ساق آرائهم من مصادرها؛ مثبتًا صحة وصول ثواب قراءة القرآن على الأموات، فساق قول الإمام أحمد من كتاب «المغني» لابن قدامة المقدسي من باب الجنائز، وساق فعل الإمام أحمد من كتاب «الجامع للخلال» بأنه كان يصلي خلف ضرير يقرأ على القبور»[٤٣]، وكذلك ما أورده ابن القيم في كتاب «الروح» ما نصه: «وقد ذكر جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يُقرأ عند قبورهم وقت الدفن »[٤٤].

أمّا رأي الحنفية فابتدأه من كتاب «الهداية» للعلاّمة المرغيناني في أول باب الحج ما نصه: «الأصل في هذا الباب أن الإنسان له أن يجعل ثواب

عمله لغيره صلاة أو صومًا أو صدقةً أو غيرها عند أهل السنة والجماعة لما روى عن النبي أنه ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته»،كما ذكر رأي ابن الهمام في «فتح القدير» ما ملخصه «أن المعتزلة هم الذين خالفوا كل العبادات ومنعوا وصول ثوابها للغير، وأيضًا ساق كلام البدر العيني في كتابه «شرح الكنز» بأنّ للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره من صلاة أو صوم أو حجّ أو صدقة أو قراءة قرآن أو ذكر إلى غير ذلك من جميع أنواع البرِّ وكل ذلك يصل إلى الميت عند أهل السنّة والجماعة»[٤٥]، أما مذهب المالكية فقد ساق أقوالهم من مدخل ابن الحاج ومن الحطاب والخرشي والقاضي عياض وكذلك نصوص من كتاب «العاقبة» للعلامة عبد الحق الأشبيلي. والمنهج الذي سار فيه في رسالته المذكورة هو نفس المنهج الذي سار عليه في باقي كتبه ورسائله الإحدى عشر التي نملكها حالياً حيث كثيرًا ما يذكر المصادر والمراجع المعتمدة في مقدمة الاقتباس أو في خاتمته، وفي كثير من الحالات يذيلها بالجزء والصفحة.

ويضاف إلى ما سبق أن للشيخ بن التباني لغة راقية وبيان ساحر في الكتابة، فاللغة الراقية التي دبَّج بها أسفاره تُعد من كنوز اللغة العربية. فقد حافظت كتبه في مضمونها على لغتنا العربية، حيث ظل يحرص على إبراز التراكيب الجميلة والنادرة للغتنا العربية التي قلّما نجد لها نظيراً في اللغات الأخرى، زيادةً على ذلك فقد حملت في طياتها أسماء وعناوين مئات الكتب والمصنفات في شتى أنواع العلوم الإنسانية والدينية وغيرها، ولم يقف المؤلف عند أسماء هذه الكتب بل غاص في ثنايا نصوصها.

وبالنسبة لقدرته على النقد والتعليل، وبحكم تشرّب ابن التّباني منهج علماء الحديث في الجرح والتّعديل، فإن القارئ سيتحسس تلك النّبرة النّقدية القديمة التي تُنبِئ عن الصّدق، والمستجيبةِ للعقل والمنطق، فلا مقبول عنده إلاّ ما خضع لتلك القواعد الدّقيقة التي اعترف بصحّتها وسَبْقِها محقّقون من غير المسلمين، يقول ابن التّباني عن هذه الخاصية المهمة في منهجيته التأليفية[٤٦]: «... التّاريخ نقلٌ محضٌ، يُشترط فيه ما يُشترط في الأثرِ مِنْ عدالة الرّواة النّاقلين لأيّ حادثة من حوادثه، تتعلّق بأيّ شخص كان من النّاس، وضبطهم لِمَا نقلوه، وغير ذلك من شروط الخبر المعتبرة في النّاقلين فردًا فردًا، فمجال

الرّأي في أيّ حادثة منه لا يكون إلاّ بعد استيفائها شروط الصّحة للخبر، وإن نقص شرط من الشّروط المعتبرة فيه فالرّأي حينئذ معزول، والفهم – مهما وَثِقَ به صاحبه وغَيْرُه– مطروح، هذا هو التّحقيق والأساس الذي يجب على كلّ من نصَّب نفسه للطّعن في عامّة الأمّة، أنْ يبني انتقاده عليه، فكيف به إذا كان في خاصّة خاصّتها، وقد كان المسلمون ولن يزالوا سالكين منهج الحقّ والتّحقيق والاعتدال في تاريخ رجالهم، رغم محاولة بعض مؤلّفي هذا العصر من المسلمين تشويه حقائق التّاريخ الإسلاميّ، ونطْح صرح المجد التّالد بالجهل والتّقليد، وإذا كان كثير من مؤرّخي الأقدمين يَجْمَعُونَ في مؤلّفاتهم الغثَّ والسّمينَ، ويقدّمونه للنّاس بدون تمييز، وكثير منهم من أهل الأهواء، وكثير منهم لا معرفة لهم بعلم الإسناد وفضائل الصّحابة، ....**ولقد هزُل علم التّاريخ في هذا العصر، حتىّ تسوّر على التّأليف فيه من لم يشَمَّ له رائحة**، ولا عجب في ذلك؛ لأنّه إذا كان عبارة عن رصف مقال بأسلوب عصريّ، وجمع شيء من هاهنا وهاهنا، فهو ميسور لكلّ من حصّل طرَفا من مبادئ اللّغة العربيّة، ليصبح به مندرجًا في مصافّ المؤلّفين...».

ومن مظاهر التجديد في خطابه التأليفي، الإضافة والتجديد، «إذ لا يكتب إلا إذا وجدت مشكلة تستدعي الحل. ولذلك اتسمت كتاباته بالإبداع المعبر عنه في منهجية البحث العلمي بالإشكالية التي لا تخرج عن الإتيان بجديد لم يسبق إليه فيخترعه، أو ناقص يجب تكميله، أو غامض يجب شرحه، أو مطول يجب تهذيبه، دون الإخلال بشيء من معانيه، أو متفرق يجب جمعه، أو مختلط يجب ترتيبه، أو خطأ يحب تصحيحه»[٤٧]، وعلى هذا سار ابن التباني في تآليفه المتنوعة، فكانت إما ردود يقصد منها تصحيح الخطأ، أو تعليقات وتنبيهات بغرض الإضافة. أو تنوير القارئ بما غفل وسها عنه. والقارئ لتراثه ورسائله سيلحظ ذلك بجلاء: ففي كتاب «إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن الكريم والسنة النبوية من فضائل الصحابة». الذي قال عن غاية تأليفه السيد إسحاق عزوز بأنه: « رد على الطاعنين في الصحابة، وخاصة الرافضة، الذين ينتقصُون الصحابة الكرام، وقد مهَّد في هذا الكتاب القواعد العامة في فضلهم، كما أردفَ ذلك بخاتمة في فضائلهم عموماً، وخصوصاً الخلفاء الأربعة»[٤٨]. قال في مقدمته: «.. فقد عنّ لي منذ سنين خلَتْ لمَّا كتبت

نبذةً يسيرة على محاضرات الخضري في نقد الصحابة وبعض الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم خطلاً، أن أكتب رسالة تتضمن فضائل الصحابة في القرآن والسنة»[٤٩].

والأمر ذاته ينسحب على باقي المؤلفات مثل: «إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات»، و« خلاصة الكلام فيما هو المراد بالمسجد الحرام» فاجتهاداته الواردة في هذين الكتابين مثلاً تعتبر إبداعاً جريئاً في موضوعيهما. وأما كتاب «تحذير العبقري من محاضرات الخضري» والذي ألّفه بقصد تفنيد ما شحنت به كتب الشيخ الخضري، التي كانت تدرس في معظم المدارس الدينية في العالم الإسلامي[٥٠]. وأشهرها: كتابه «محاضراتٌ في تاريخ الأمم الإسلامية»، وكتاب «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين»، و«إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء»، وهي على جزالة تأليفها، ومتانة عباراتها، وقع مؤلفها في عدد من الأخطاء المنهجية في التأليف، أبانت عن تبنيه منهجاً عصْرياً غزَا العالم الإسلامي منذُ ذلك الحين، تمثَّل في أفكار شاذة وآراء غريبة، دخلت على المنهج الأزهري على يد محمد عبده المصري، وابن الغَرابيلي (ت ١٣٢٢هـ)، الذي قدم من فرنسا حاملاً في جعبته أفكاراً سُمِّيت إصْلاحيةً، بعضُها جيدٌ في النهوض بمستوى التعليم والرقي بالمدارس الإسلامية، ولكنها تنطوي على سموم ناقعة، تتمثل في رد النصوص القطعية من الكتاب والسنة، وفتح الباب لإعمال الأفكار فيها والتقاط الشاذ من أقوال المتقدمين، والبعد كل البعد عن منهج الراسخين في العلم، المتثبتين في فهم النصوص على وجهها، كما سارت عليه جماهير الأمة. فانبرى الشيخ محمد العربي، حاملاً قلمه، محرراً مباحث أوراقه وصحائفه، في الرد على تلك الهفوات العظيمة، والزلات الجسيمة التي امتلأت بها صفحات كتاب الخضَري، وأنتجت قريحته وقوة حافظته ومعرفته لمظان النصوص والمسائل، هذا الكتابُ الجليل القدر.

قال عنه السيد إسحاق عزوز: «مهَّد المصنف لكتابه هذا بمقدمة ذكر فيها القواعد الصحيحة التي بمقتضاها توثق الأخبار أو تجرح، وقد اقتصر في نقده «للمحاضرات» على الجزء الخاص بالصحابة، كما تعرّض لبعض الموضوعات الأخرى الدينية، كقصة الفيل، وبناء البيت، وحجّه، والخلافة

الإسلامية، وقصة الإسراء والمعراج. ويعتبر هذا الكتاب صنوا لكتاب «إتحاف ذوي النجابة»، إذ كلاهما يتمم الآخر، ففي «الإتحاف» تعرض للقواعد العامة، وفي هذا الكتاب تتبع الأخبارَ على ضوء قواعد المحدثين»[٥١].

ومنه يمكن القول «بأن كتابات ابن التباني تتسم بالمنهجية العلمية التي تنطلق من إشكالية الموضوع وحدودها الزمانية والمكانية والشخصية»[٥٢]. وهو الأمر الذي جعلها تتسم بالحيوية والتجديد والإضافة.

وعن منهجه في قراءة التاريخ تحدَّث ابن التباني في مقدمة كتابه «تحذير العبقري من محاضرات الخضري» عن الطريقة التي تناول بها الكتابات التاريخية للشَّيخ محمَّد الخضري بك في (محاضراته) التي جمعها في كتاب حمل اسمه. والذي أورد فيه جملة من الأخبار تطعن في بعض الصَّحابة، فردَّ عليه الشَّيخ ابن التَّباني بنصوص وأدلَّة تاريخية تُوجب نزاهتهم وبراءتهم مما لا يليق بمكانتهم عند الله وعند رسوله وعند المنصفين من النَّاس... ومن خلال هذه المقدمة يتضح للقارئ منهجاً جديدة في قراءة التاريخ يشبه أو يكاد في أسسه وقواعده علم المناهج عند الغرب المحدثين.

ومما جاء في مقدمة الكتاب: «وقد أسند إليَّ تدريس محاضراته (ويقصد محاضرات الخضري) بالمدرسة الفلاحية قبل سنين، فلم يُمكِّني السكوت على اعوجاجها وكثرة خطلها فقوَّمْتُها بلساني تقريرًا وبقلمي كتابةً، (والعلم أمانة) فكتبت عليها إذ ذاك رسالة موجزة لم أذكر فيها كلامه واضحًا لأعذار تعقبته فيها في نحو ستين بحثًا وسميتها «النصيحة والاستدراكات على كتاب المحاضرات»، ثم زدتُ فيها الآن زيادةً واسعةً وسقت كثيرًا من كلامه ليظهر للقراء زيْغه عن جادة الاعتدال جليًا وتركتُ مع ذلك كثيرًا من قبيح كلامه وهمزه لأولئك السادة، المبني على فهمه الطائش، وتقليده للأقوال الباطلة وأهل الأهواء والأجانب، وعلاوةً على هذا فقد تقوّل على ابن هشام في حادثة الفيل التي قصَّها الله أحسن قصص وبيّنها أحسن بيان، فزاد في تفسيرها ما لم يقله الله إنكارًا لخوارق العادة (الحوادث الكونية) لذلك حذف دلائل نبوة النبي ﷺ ومعجزاته من سيرته ﷺ من كتابه مع أنها لبُّ التاريخ، ولأجل ذلك حاول ترجيح القول بأن الإسراء كان منامًا لا يقظة»[٥٣]

وفي هذا يقول تلميذه علوي المالكي (المدرس بالمسجد الحرام وبمدرسة

الفلاح بمكة المكرمة): «لقد وفَّق الله شيخنا ... محمد العربي التباني ... فشحذ سيف العزم وتدرَّع بالكفاح والحزم، وقام لله تعالى ولرسوله ولأصحابه وخلفائه وورثته منتصرًا، ومن بعض أباطيل بعض المؤلفات وكتّاب المتأخرين محذرًا، فجمع وأفاد، وانتقد وأجاد، وأبان سبيل الرشاد وحذَّر من بعض الروايات والكتب المزيفة فحقق تحقيقًا صحيحًا فنيًّا، ونقدَ نقدًا واضحًا علميًا، مطابقًا لأصول الرواية وفنون الدراية مع التزام الإنصاف والأدب في الرد والنقد وهذا مما يَنْدر جدًا في هذا العصر من الباحثين، ومما يُعد من حسنات المؤلف المحقق أنه جمع في انتقاده وتحقيقه بين الرد الديني بالنصوص وبين النقض العقلي السليم لشبهات مزيفة على ضوء الواقع، بأسلوب عصري جذَّاب منير مع الاستشهاد بالمجريات الكونية والحوادث السياسية ممَّا يشهد حقًا لسعة علم المؤلف المحقِّق وطول تجاربه وحسن خبرته وصفاء عقيدته وكمال أدبه، فلقد أبلى في دراسة التاريخ الإسلامي بلاءً حسنًا، وقرأ أكثر كتبه المشهورة والنادرة حتى صارت له ملَكَة فائقةً يشهد بها كل من حضر دروسه وقرأ كتبه فجزاه الله تعالى عن العلم والتاريخ والأدب أفضل الجزاء، لقد نشر راية البيان والتحقيق والكفاح حتى رفع التاريخ الإسلامي رأسه عاليًا بتلك التحقيقات المفيدة والانتقادات السديدة، فظهر بهذا من يكتب في التاريخ عن ملكةٍ وتحقيق وإنصاف ممن يكتب عن جهلٍ وتهورٍ وفلسفة ممَّن يُعد في زمرة الأدباء كما قيل لا في عُداد المؤرخين المنصفين»[٥٤].

لقد اعتبر ابن التباني أن التاريخ خبر، والخبر يجب أن يشترط فيه عدالة الرواة وضبطهم، وإعمال الرأي في الحوادث لا يجب أن يطلق على عواهنه بل يجب تناوله بعد استيفاء الحوادث لشروط صحة الأخبار، كما أن نقص شرطٍ من الشروط يجعل الرأي معزول، ويؤكد ابن التباني على أن هذا هو الأساس الذي يجب أن ينتهجه للطعن في رجال الإسلام عمومًا، وكيف إذا كان الأمر بسادات الأمة وكبار الصحابة...«إن المؤرخين الذين يدعون حرية المنهج في كتاباتهم عن سادات الأمة أشد خطرًا من الخوارج والروافض، لأن عقيدة هؤلاء أضحت مكشوفة لجمهور المسلمين السنيين بعكس هؤلاء الذين يتسترون بستار التاريخ الحر فهم أخطر على شبان المسلمين لأن دعاويهم صادفت قلوبا خالية من تاريخ ومناقب الصحابة»[٥٥].

ويمكن أن نسرد أنموذجاً يبرز لنا مدى اطلاعه الواسع في علمي التاريخ والأنساب، وهو رواية القاضي حشلاف الذي قال أن إدريس الأكبر انتقل لمدينة فاس وبقي بها إلى عام ٣١٢هـ فقبضه الله إليه. فيعلّق الشيخ العربي بن التباني على هذه الرواية بقوله: «وبقي بها إلى عام ٣١٢هـ فقبضه الله إليه غلط فاحش وكيف يعقل بناء جامع القرويين بعده في زمان حفيده يحي بن يحي بن إدريس عام ٢٤٥هـ ويموت هو بعده في التّاريخ الذي ذكره وهو ٣١٢هـ والصواب أن إدريس بن إدريس توفي سة ٢١٣هـ»[٥٦]، وفي رواية «صاحب القرطاس» عن محمد النفس الزكية...لما ذكر أن: « النفس الزكية ظهر بمكة فبويع له بالموسم وتبعه أهل مكة والمدينة». فيُعلق محمّد العربي بن التباني على هذه القصة بقوله: «لما ظهر النفس الزكية بمكة غير صحيح والنفس الزكية إنما ظهر بالمدينة وقتل بها كما تقدم والذي ظهر بمكة وقتل بفخ إنما هو بن عم النفس الزكية وهو الحسين بن علي بن الحسن المثنى بن الحسن السبط»[٥٧].

ومن المؤرخين الذين كان لهم الحظ الوافر من النقد هو العلامة ابن خلدون، الذي يرى أنه –أي ابن خلدون– «لم يكن فقيهًا في مذهبه فضلاً عن كونه محدثًا أو من أعلام الحديث الذين يمتلكون أهلية النقد والتمييز للأحاديث، ولقد شاع في الناس خواصهم وعوامهم الحكم على المبرز في فن معين بأنه عالم في كل الفنون فابن خلدون حكم على كل الأحاديث الواردة في المهدي بأنها من خرافات الرافضة ودسائسهم» [٥٨] ، قال ابن التّباني[٥٩] معلّقًا على الكوثري وابن خلدون: «كلام ابن خلدون الذي توكّأ عليه الكوثري في تحقير المالكية –عمومًا– خاصّ بمالكية المغرب والأندلس، قال [الكوثري]: ولذا ترى ابن خلدون يقول عن مذهب مالك ما لفظه: «وأيضًا فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا لأهل الحجاز أَمْيَلَ لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضّا عندَهم، لم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها».إ.هـ (مقدمة علم الفقه)، فكان رد ابن التباني: «وهذا من أقبح التّصرف المكشوف لكلام ابن خلدون، ولا نظنّه يجهل اتّساع مذهب مالك فيما ذكرناه، ولا جهله بمدلول كلام أبي زيد، وكلام ابن خلدون هذا في مقدمة تاريخه التي يُعجَب بها كثير من أهل العصر، وله فيها مجازفات كثيرة ومؤاخذات، وقد نقدها العلماء، فمنها –وهو ما لا نظنّ

الكوثري لم يطّلع عليه–: زعمُه أنّ الإمام أبا حنيفة لم يرو من السنّة إلاّ سبعة عشر حديثًا، ومنها طعنه في الأحاديث الكثيرة المرويّة في المهديّ، وزعمه أنّ ذلك من خرافات الرّافضة، ومنها تخطئته للحسين بن علي، ومدحه لزيد بن معاوية، وتفنيده لخلافة علي بكلام معسول، بزعمه أنّ بني أميّة هم أهل العصبيّة في قريش، وغير هذه كثير تدلّ المطّلع الممارس على أنّه –رحمه الله– مُزْجَى البضاعة في الرّواية والدّراية معًا، ويدلّ لذلك أيضًا عدم لحوقه في جريه في مضمار الطريقة العلمية أقرانَه المشاركين له في المشايخ، كالعلاّمتين الشريف أبي عبد الله، وأبي عثمان العقباني، والحافظ المقري الكبير بتلمسان، والقبّاب بفاس، والشيخ ابن عرفة بتونس، وقد مالت نفسه إلى خدمة الملوك، فتولّى رئاسة قلم الإنشاء عند بني مرين، وغيرهم من أمراء العرب، وتنقّل في ذلك بينهم ومدحهم، ومع ذلك لم تَصْفُ له الحياة، فرحل إلى غرناطة بالأندلس، فوجدها مشحونة بجلّة العلماء، مثل شيخ الشيوخ أبي سعيد بن لبّ، والعلاّمة أبي إسحاق الشاطبيّ، ولم يكن له في صنعة الإنشاء بها نصيب مع وزيرها لسان الدّين بن الخطيب، فرجع إلى مسقط رأسه مدينة تونس، فلم يقرّ قراره فيها أيضًا، وبعد برهة نزح عنها إلى مصر القاهرة، فاتّخذها وطنًا، ونفق سوقه بها، فولّي بها قضاء المالكية، وبعض وظائف التّدريس إلى أن توفّي بها رحمه الله»[٦٠].

كما عالج ابن التباني الكثير من القضايا العقدية بخطاب نقد وتعليل وحجة، فبملكته النقدية وموهبته التعليلية المفحمة لخصومه رد على كثير من القضايا التي وردت في مؤلفات بعض المؤرخين والفقهاء والأصوليين، منها ما كان مرتبطاً بموضوع النبوة، والخلافة، والولاية، ومنها ما كان مرتبطاً بالألوهية وعقيدة التوحيد.

كما أبدى التبّاني نزعة نقدية للأحكام الفقهية والأصولية على أسس تعليلية وهدفه في ذلك هو التّقليص من دائرة الخلاف ونلمس هذا في كتابه «التّعقيب المفيد من هدي الزُّرعي الشديد»، والذي تعقَّب فيه الإمام ابن القيم في كتابه «زاد المعاد»، في مسألة هدم القباب التي على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ، قال ابن القيم –رحمه الله– في الهدي: «لا يحل إبقاؤها في الإسلام ويجب هدمها »[٦١] ونقلها عنه صاحب «كشاف القناع»،

وقد أبدى ابن التباني في رده على ابن القيم قدرة تعليلية متميزة فهو يُميّز بين الأراضي الوقفية والأراضي المملوكة، ويميِّز بين ما هو محمول على كراهة التنزيه والمحرم فيقول: «صحيح إن أراد به المشاهد المبنية في الأرض المملوكة فهو باطل قطعًا، لأن النهي عن البناء على القبور في الحديث محمول على كراهة التنزيه في غير الموقوفة عند العلماء، وحرمة البناء في هذه معلّل بالتضييق على المسلمين ولا تضييق في المملوكة ولا معصية في البناء فيها ولا يجوز هدمه عند العلماء، وإن كان خلاف السنة وليس بفقيه من أوجب الهدم في المكروه وجعله معصية، والواجب إنما يقابل الحرام لا المكروه والإمام أحمد بن حنبل ﷺ إنما روي عنه منع البناء في وقف عام ولم يرو عنه وجوب هدم ما بني فيه»[٦٢].

وكذلك تعليله جواز القراءة على الأموات بقوله: «... لو سُلّمَ عدم فعل السّلف لها (أي القراءة على الأموات) لا يلزم منه المنع الخاصُّ المدّعى؛ فعدم فعلهم لها ليس بدليل، وليس كل شيء من مسائل الفروع لم يفعله السّلف يكون محظورًا، ومن ادّعى ذلك فعليه الدّليل، ولا سبيل له إليه»[٦٣]، وقال أيضاً بعد قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٦٤] : «فيها دليلٌ على صحّة الإجماع ووجوب الحكم به؛ لأنّهم إذا كانوا عدولاً شهدوا على النّاس فكلّ عصر شهيد على من بعده؛ فقول الصّحابة حجّة وشاهد على التّابعين، وقول التّابعين حجّة على من بعدهم، وإذا جعلت الأمة شهداء فقد وجب قبول قولهم، وقد احتجّ به جمهور أهل السّنة وجمهور المعتزلة على حجّية إجماع الأمّة فقالوا: أخبر الله تعالى عن عدالة هذه الأمّة وعن خيْريّتهم فلو أقدموا على شيء من المحظورات لما اتّصفوا بالخيريّة، وإذا ثبت أنّهم لا يُقْدِمُونَ على شيء من المحظورات وجب أن يكون قولهم حجّة، فإن قيل: الآية متروكة الظّاهر لأنّ وصف الأمّة بالعدالة يقتضي اتّصاف كل واحد منهم بها، وخلاف ذلك معلوم بالضّرورة، فلابدّ من حملها على البعض، فنحن نحملها على الأئمّة المعصومين، سلّمنا أنها ليست متروكة الظّاهر لكن لا نسلّم أن الوسط من كل شيء خياره وهو مُعترَضٌ بوجهين:

الأول: إن عدالة الرّجل عبارة عن أداء الواجبات، واجتناب المحرّمات، وهذا من فعل العبد، وقد أخبر الله –تعالى– أنّه جعلهم أمّة وسطا؛ فاقتضى

ذلك أنّ كونهم وسطًا من فعل الله تعالى، وذلك يقتضي أن يكون كونهم وسطًا غير كونهم عدولاً، وإلاّ لزم وقوعُ مقدورٍ واحد بقادرين وهو محال.

الثّاني: أن الوسط اسم لما يكون متوسّطا بين شيئين فَجَعْلُهُ حقيقة في العدالة والخيريّة يقتضي الاشتراك وهو خلاف الأصل»[٦٥].

ومن خلال هذه المسائل تظهر الدقة النقدية عند ابن التباني في رد المسائل المختلفة إلى عللها والتي تدور عليها وجودًا وعدمًا، كما لم يغفل تفصيل المسألة وذِكر حكم كل فصل مراعيًا في ذلك مقصد الشريعة من عدم التضييق والحرج وكذلك التيسير في أمور الناس، ذلك أن القضايا والمفاهيم الشرعية والفقهية... أي الدينية عموماً، إذا أخذها الناس مشوَّهة مدلسة بفعل شطحات المتشددين والروافض ودسائس المارقين والمستشرقين وبدون وعي مسبق سيكون لها انعكاسات على سلوكهم الاجتماعي والفكري، إيجابًا أو سلبًا، لهذا أولاها الشيخ ابن التباني اهتمامًا خاصًا، في تأليفاته لغرسها في النشء صحيحة، كما أثّرت عن السلف الصالح من هذه الأمّة.

وأمّا كتابه: «براءة الأشعريين»، فقد التزم فيه عرض كل مسائل العقيدة، كالتوحيد الألوهية والربوبية، والجبر والاختيار، بصورة علميّة، تستند على الدليل العقلي، وترد على الشبهات المختلفة التي كان يثيرها بعض متشددي الحنابلة المتأخرين والمستشرقين والملاحدة آنذاك.

وقد لا يسعفنا الظرف لسرد كل مداخلاته التي أوردها مؤلفاته، لكن يمكن القول أن خطاب بن التباني يغلب عليه التفكير الدفاعي عن الإسلام في الرد على بعض الآراء الاستشراقية، أو القدحية، وذلك من خلال نمط خطابي يعتمد على إعادة إنتاج مجموعة مقولات فقهية وتاريخية من داخل المنظومة الإسلامية، وليس من خلال الفحص السوسيو/ ثقافي أو السوسيو/ معرفي، أو السوسيو/ تاريخي، أو السوسيو/ سياسي لهذه الآراء والكتابات. نمط خطابي يعتمد على تمجيد الذات الجماعية الإسلامية، والخلط بين الدفاع عن ممارسات وسلوكيات وخطابات المسلمين حول المقدس الإسلامي، وبين المقدس ذاته تعالى وتنزّه. من ناحية أخرى نجد أن خطاب بن التباني كان معارضاً لبعض رجال الدين الذين أيدوا بالفتوة والتجييش الجماعات والفرق العنيفة والمتشددة مع عامة الناس، فهذه الفئة من العلماء خصَّها بهامش كبير في مؤلفاته لأنها

بحسبه أسهمت في زرع قيم الامتثال والخضوع والانصياع، وكانت النتيجة النهائية هي إنتاج نمط هو التسلطية الدينية التي تكرس الخضوع والتواكلية.

٤. التجديد في أساليب التعليم و مناهج التربية

مرَّ التدريس في المسجد الحرام «في القرن الرابع عشر الهجري» بمراحل تاريخية متفاوتة، وكان لكل مرحلة شخصيتها وخصائصها تتقارب أحياناً وتتفاوت أحيانا أخرى. ومرد ذلك تأثرها بالأجواء الاجتماعية والسياسية التي تحيط بالبلاد. فإذا ما ازدهرت فيها الحياة المعيشية واستمتعت بمناخ سياسي هادئ انتعشت وازدهرت وإذا كان غير ذلك تقلصت وتضاءلت، كما حدث ابان الحرب العالمية الأولى عام (١٣٣٢هـ-١٩١٤م) أين ضعفت الحركة التجارية إلى حد بعيد وضاقت مصادر الرزق بالناس وانقطعت المنافذ والسبل التي تمد مكة بالحجيج ونتيجة لذلك انقطع الناس عن طلب العلم وانصرف العلماء إلى طلب الرزق وكسب العيش، بما يضمن لهم ومن يعولون الحياة الضرورية، الأمر الذي لفت نظر حكومة ذلك الوقت فقامت بمحاولة إعادة الحياة العلمية إلى ما كانت عليه من نشاط سابق فأصدرت نظامًا يساعد على إعادة النشاط العلمي وتحريكه فخصصت مرتبات شهرية للعلماء والمدرسين بالمسجد الحرام وصدر النظام في كتيب عنوانه «الطوالع السنية في نظام التدريس بمسجد مكة المحمية»، علماً بأن علماء الحرم المكي رفضوا كل مساعدة يُشتَّم منها أجرًا على التدريس بالحرام، وذلك لأن العلوم ليس الغرض منها الاكتساب كما قال صاحب «كشف الظنون»[٦٦].

كان الاهتمام على مرّ التاريخ ينصبُّ في المقام الأول على تدريس العلوم الشرعية البحتة، وفي الفترات المتأخرة تدريس العلوم المساعدة. وبتأمل ما سطره الأستاذ عمر عبد الجبار نستطيع أن نحدد تلك العلوم في: «القرآن الكريم والقراءات، وتفسير القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وعلومه، والعقيدة، والفقه على المذاهب الأربعة، وأصول الفقه، وعلم المنطق، والمواريث، والمناسك، وفضائل الصوم وآدابه، واللغة العربية، والنحو والصرف، والبلاغة، والشعر، والخط، كما كان بعض المدرسين يجيد علم الحساب والفلك والميقات، والطب اليوناني، والهندسة الميكانيكية»[٦٧].

أ. الأسلوب التعليمي للشيخ بن التباني:

في سنة (١٣٣٨هـ- ١٩١٩م) عُيِّن الشيخ بن التباني مدرساً بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة نظراً لمزيد تفوقه ونبوغه، فقد درّس بالحرم المكي بالإضافة إلى ما سبق ذكره في عدة فنون أخرى منها التفسير والأصول والبلاغة والتاريخ الإسلامي، وختم الطلاب عنده بالحرم كتباً كباراً منها: الصحيحين وموطأ مالك والجامع الصغير للسيوطي وتفسير البيضاوي والنسفي وابن كثير وجمع الجوامع وسيرة ابن هشام وعقود الجمَّان والإتقان في علوم القرآن ومغني اللبيب لابن هشام، وغيرها. وبالتالي شغل الشيخ محمد العربي ابن التباني مناصب تدريسية عدة منها: مدرساً بالمسجد الحرام ومدرسة الفلاح المكية من عام (١٣٣٨هـ- ١٩١٩م) إلى عام (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) . ثم مدرساً بالمسجد النبوي الشريف أثناء الزيارات. ثم مدرساً بمدرسة المطوفين بالمسجد الحرام عام (١٣٤٧هـ-١٩٢٨م)[٦٨].

كان أسلوبه في التدريس يعتمد على أساليب علمية متعددة ومختلفة حسب ما كان مسموحاً به في تقاليد التعليم بالحجاز[٦٩]. وهي في النهاية إمتداد للآداب المرعية التي كان متعارفاً عليها عند المتقدمين من السلف الصالح من هذه الأمة. كاستقبال القبلة[٧٠]، واختيار قارئ فصيح للحديث عند بداية درس الشيخ، وفي ذلك يقول السمعاني: «وينبغي أن يتخير للاستملاء أفصح الحاضرين لساناً، وأوضحهم بياناً، وأحسنهم عبارة، وأجودهم أداء»[٧١]، بعدها يتم الإستنصات لسماع الدرس، هذه الآداب أوجُلُّها كان يلتزم بها الشيخ محمد العربي ابن التباني في تدريسه ، ومن العلوم والفنون التي درَّسها بحسب ما سطَّره في ترجمته: « وفي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٨هـ-١٩١٩م) وُظفت مدّرسا في مدرسة الفلاح علّمت فيها من ذلك التاريخ إلى هذا اليوم فنون النحو، والبيان والفقه، والحديث والتفسير والفرائض والصرف والتاريخ الإسلامي والتجويد والسيرة النبوية، كما ألقيت في هذه المدة دروسًا في المسجد الحرام في الحديث والتفسير والبلاغة والتاريخ الإسلامي، وختمت فيه ولله الحمد كتبا كبارا منها (موطأ الإمام مالك، والصحيحان) وتفسير النسفي والبيضاوي وابن كثير وسيرة ابن هشام، وعقود الجمان، والإتقان في علوم القرآن)، وختمت مطالعة كثير من الكتب الكبيرة والصغيرة»[٧٢].

يقول الدكتور حسن بن محمد سفر: «كانت لشيخنا – ويقصد ابن التباني– في المسجد الحرام حلقة درس في باب الزيادة ثم في الحصوة أمام باب العمرة مابين المغرب والعشاء ليلتي الثلاثاء والجمعة يتحلق الطلبة والحجاج والزوار والمعتمرين حوله، فيبدأ الدرس بالحمد والصلاة على رسول الله والحوقلة وقراءة آيات من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على طلب العلم والصبر في تحمل مشاقه، ثم يطلب من الطلاب الاستقامة والتقوى. وقد امتاز وتميّز –رحمه الله– بمنهج علمي فريد في التدريس فقد كان درسه يتميز بشرح العبارة شرحاً موجزًا مكثفًا مدعماً بالشواهد والأمثلة وذكر فوائد التاريخ ليربط بها الموضوع، كما كان –رحمه الله وأنار قبره– يُردف أثناء شرح الدرس حكايات عن الصالحين والعلماء الأعلام السابقين وحكايات الملوك والأمراء وتراجم لبعض منهم إذا اقتضي المقام ذلك ذاكراً المراجع والمصادر التي استقي منها درسه من باب الأمانة العلمية.

لقد تتلمذ للشيخ أجيال من التلاميذ، وطلاب العلم الأحرار، فتخرّج عليه كثير من العلماء والقضاة والمدرّسين، ورجال الفكر والشعراء والأدباء، ولا يكاد ينازعه هذا الشرف . خلال النصف الأول من القرن العشرين إلاّ القليل من العلماء المدرّسين، فيُعدّ بحق أبا النهضة العلمية في الحجاز، وأهّله لأن يتبوأ مكانة مرموقة ويحق لنا أنْ نتساءل: هل كان له ارتباط بالنهضة الإصلاحية والفكرية والدينية في الجزائر والتي بدأت بوادرها مطلع القرن العشرين؟

والجواب لا يتأتى إلاّ بالنظر في تاريخنا نظرة تبصّر وتحقيق، وحينئذ سنتأكد من أنّ رعيلاً من العلماء وعلى رأسهم الشيخ ابن التباني نذروا أنفسهم، وأوقاتهم وجهودهم من أجل أن لا يظفر أعداء العلم والإيمان والإنسانية جمعاء ببغيتهم، واستطاعوا أن يورّثوا القيم التي ورثوها، عن أسلافهم لمن جاء بعدهم، ولا أكون مبالغا إذا قلت إنّ كلّ من حمل قرطاساً وقلمًا ببلاد الجزيرة من الجزائريين إلاّ وللشيخ ابن التباني؛ قيد من الإحسان يُطوق رقبته. كما أن الشيخ لم ينسى دعم النهضة الإصلاحية والفكرية والدينية في الجزائر بكتبه ورسائله العديدة حيث تعج رسائله العائلية إلى الجزائر عجاً بما ملخصه توزيع العدد الأكبر من النسخ على بعض أعلام الإصلاح في الجزائر، وحتى لبعض الموظفين في الإدارة الفرنسية كالقياد والمدرسين، فقد ورد في إحدى رسائله: «١

محرم ١٣٦٨هـ- ١٣ نوفمبر ١٩٤٨م» إلى خاله الشيخ السعيد أنه قد أرسل إليه كتاباً وهدية مع ابن عمه السيد الحاج المدني بن الشيخ تضمَّنت كتاب (شرح الصدور بأحوال الموتى والقبور) للحافظ السيوطي، وثلاث نسخ من تأليفه الجديد الذي طبعه في مطبعة الحلبي: « وتأليفي الجديد الذي ستسرون به وهو مقدار ثلاثمائة نسخة تقريباً، إلا على إرسال خمس وثلاثين نسخة منه، وقد وزعت كل منها ستة عشرة نسخة للقطر الجزائري، وخمسة نسخ منها مع ابن خروف للبشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، والعربي التبسي، وأبي يعلى الزواوي إمام جامع سيدي رمضان بالعاصمة، والخامسة لابنه الأحمدي، ونسخة سادسة للعاصمة أي إلى مفتي الحنفية بالجزائر، وسابعة لابن سيدي عكة جاءني زائراً بالبيت، والثامنة لابن خبابة مفتي سطيف.....»[٧٣].

ومن أساليبه التدريسية إذن أنه: « كان يسترسل في شرح العبارات الفقهية شرحاً واضحاً يستفيد منه المبتدئ والمنتهي، والمتوسط، ويدعم ذلك بذكر الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة المناسبة للمقام، معقبًا على درجة الحديث، إن كان ضعيفاً أو موضوعاً، ويذكر في بعض الأحيان سند الحديث وسلسلة رجاله. كما أنه كان يُميز الدرس وخصوصاً إذا كان في المسائل الفقهية متعرضًا لآراء المذاهب الأربعة ذاكراً أدلة وحجج المخالفين، ورادا عليها، ومرجحاً ما يراه من الكتاب والسنة، وتلكم هي ملكة العالم الفقيه المجتهد. وكان يجيب على أسئلة السائلين من الطلاب، والحجاج، والمعتمرين، يُوضح لهم المسألة ببسيط العبارة والأسلوب الواضح المرصع بالبلاغة والفصاحة»[٧٤]، و«كان مما يتميز به درسه؛ علمه الغزير بالغزوات، والتواريخ، وإذا غابت عنه مسألة فكَّر قليلاً فاستحضرها وساقها مساقًا حسناً دون إرباك وارتباك، وكان وجهه يسطع نوراً، وجبينه مشرقاً زاهراً، وكان ملازماً لذكر الله لا يفتر عن الذكر، إلا بمطالعة كتاب أو تدريس، ماهراً في علم الفرائض، والتفسير، والمغازي، والسيّر، والتاريخ وهي فنه»[٧٥].

ب. خصائص منهجه التربوي:

واستنادًا إلى شهادات وتقريضات طلابه في مقدمات كتبه بعد إعادة طبعها في سبعينيات القرن الماضي تميّز درس الشيخ بن التباني بمنهج تربوي فريد في التدريس، فقد كان درسه يتميز بشرح العبارة شرحاً موجزاً مكثفاً مدعماً بالشواهد والأمثلة، ومن خلال كتابيه: (براءة الأشعريِّين من عقائد المخالفين)،

و(تحذير العبقري من محاضرات الخضري أو إفادة الأخيار ببراءة الأبرار)، برع الشيخ في حسن المناظرة وإبطال الشبهات والرد على أهل الأهواء والمبتدعين، فهو صاحب حجة وبرهان وإقناع مع رحابة صدر شديدة، وتواضع جم وزهد كبير، ولعل أحبُ العلوم لديه هي: الفقه والتوحيد. وفي ذلك يقول عنه تلميذه الشيخ يوسف عبد الرزاق – من علماء الأزهر الشريف-: «ومن ألمع علماء مكة المكرمة الذين طلعوا في سمائها بدوراً، وفاضوا في أرجائها بحوراً، ورفعوا راية العلم عاليةً خفاقة شيخنا العلامة الفقيه الأصولي المحدِّث المفسِّر اللغوي...المؤرخ الثقة أبا عبد الله محمد العربي ابن التباني...لا زالت مجالس العلوم بهمته معمورة، وأحاديث فضائله في الخافقين مأثورة، ولم يُقنعه أنه قد تخرَّج عليه الكثير من العلماء الذي تزدهي بهم الأقطار، وتتزين بهم الأمصار، بل سمَت همته إلى التأليف والتصنيف، فأخرج للناس كتباً نافعة ضمنها علوم عالية يحق بها حقاً أو يُبطل بها باطلاً ولسان حاله يقول: دافعتُ عن حقٍ يحاول ذوو هوى ... إظهاره للناس شيئاً منكراً....»[٧٦].

قال عنه إسحاق عزوز – عضو مجلس الشورى ومدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة-: «شيخنا العلامة الشيخ محمد العربي التباني الجزائري ثم المكي، جمع الله له من طرافة الحديث وغزارة العلم وسعة المعارف والجمع بين الرواية والفهم، أصولي ومفسر ومحدث له قدم أعلى في التاريخ العربي الإسلامي، قد شغل أوقاته منذ نشأته بمذاكرة العلم وتدريسه، والتأليف فيه، وتصانيفه ممتعة، وقد جرد نفسه في تآليفه للدفاع عن الدين ورجاله...»[٧٧].

قال عنه تلميذه محمد نور سيف: « شيخنا وقدوتنا ومربينا الجهبذ الكبير العلامة الخطير والحبر الشهير والهامة النحرير الجامع لشتات العلوم فروعاً وأصولاً منقولاً ومعقولاً صاحب الفضيلة والأيادي الجليلة والمناقب الجميلة مولانا الحسيب النسيب الشيخ محمد العربي أن جعله من أولئك الأفذاذ الذين يحفظ بهم كيان دينه المبين وكرامة حملته المتلقين له عن سيد الأنام الصادق الأمين الذين عز شبيههم فيمن تقدم من أصحاب المرسلين ولا نظير لهم في سلف من النقباء والحواريين. وقال عنه محمد بن عبد الله آل رشيد: « العلاَّمة المحقِّق المؤرِّخ الفقيه الشيخ العربي بن التَّباني بن الحسين السَّطيفي، ثم المكي المالكي» [٧٨].

قال فيه العلامة محمد أمين كتبي أحد تلاميذه هذه الأبيات:

حياتـه كلها نفـــــــــــعٌ وفائدة ما اعتاض عن جلسة في العلم باللعب
وتلك آثاره الغـــــــــــراء شاهدة بأنـــــــــــه في المعالي في ذري الرتب
لا شيء أعجب من ألفاظه فإذا ما أنهل في الدرس كان الدرس من ضرب
يفيض كالبحر في الأصلين متدفقًا و في التواريخ والآلات كالســـــــحب
وذلك حقل العلـــــــــتم أكثره من غرسه نـــــال منـــــــــه منتهى الإرب[٧٩]

الخاتمة

يعتبر العلامة محمد العربي التباني صاحب مدرسة فكرية غذاها بعلمه ورعاها وشملها باهتماماته فقد سطعت عليه بركات وأنوار البيت العتيق والروضة والقبر الشريف فكانت حياته كلها علم وتعلم. لقد تمتّع الشيخ بحسن الصيت، وبإعجاب واحترام وتقدير كثير من العلماء والمصلحين ورجال الأدب، فبالإضافة إلى تقريظ كثير منهم لكتبه، لم يستطيعوا حبس تقديرهم له ولجهاده الطويل. فالمترجم له ذا فهم ثاقب، وذكاء مفرط، ومن التواضع ودماثة الخلق على جانب عظيم، وكان حسن التقرير في درسه مع التوسع في الشرح والبيان، عامر الوقت بالذكر والمذاكرة، داعيا إلى الله بحاله وقاله، شديدًا على أهل العناد وأدعياء العلم، غير مكترث بأذاهم. وجدير بالعالم الإسلامي أن يتذكر ويفتخر بوجود مفكر وفيلسوف مثل محمد بن التباني، فمن يتعرف على أفكاره وأشعاره يتملكه الإعجاب به، وهو من طبقة المفكرين الكبار، ومن الفلاسفة الذين يذكرون بفلاسفة المسلمين السابقين.

ومن جملة الاستنتاجات التي توصلنا إليها بعد هذه الدراسة المتواضعة:

- أن الشيخ بن التباني لم يكن مجرّد عالم مدرّس فحسب، بل كان صاحب مشروع إصلاحي، قائم على وعي كامل بالواقع، الذي يعيش فيه هو وأمته، فهو ما إن استقرّ في الحجاز، حتى امتلك زاداً كبيراً من العلم الشرعي الأصيل، كما حاز من خلال رحلاته الكثيرة وصداقاته المتنوعة على ثقافة ووعي كبيرين، زادته إيماناً إلى إيمانه بوجوب تنسيق الجهود الإصلاحية.
- أن الدافع النقدي والتمحيصي هو أهم دافع للتأليف عند ابن التباني وهذا استئناساً بما ذكره في سيرته الذاتية بقلمه، ولهذا يمكن أن نقول أيضاً: أن

مؤلفات ابن التباني مجتمعة هي عبارة عن ردود وتوضيحات وانتقادات، وكتب الردود نمط من الكتابة عند المسلمين ناقشوا فيها بعضهم بعضًا، وردوا بها على بعضهم بعضًا ؛ إضافةً وتعليقًا، وتخطئةً وتصويبًا ...وغير ذلك.

- أن خطاب بن التباني يغلب عليه التفكير الدفاعي عن الإسلام في الرد على بعض الآراء الاستشراقية، أو القدحية، وذلك من خلال نمط خطابي يعتمد على إعادة إنتاج مجموعة مقولات فقهية وتاريخية من داخل المنظومة الإسلامية، وليس من خلال الفحص السوسيو / ثقافي أو السوسيو / معرفي، أو السوسيو / تاريخي، أو السوسيو / سياسي لهذه الآراء والكتابات. نمط خطابي يعتمد على تمجيد الذات الجماعية الإسلامية، والخلط بين الدفاع عن ممارسات وسلوكيات وخطابات المسلمين حول المقدس الإسلامي، وبين المقدس ذاته تعالى وتنزّه.
- أن خطاب بن التباني كان معارضاً لبعض رجال الدين الذين أيدوا بالفتوة والتجييش الجماعات والفرق العنيفة والمتشددة مع عامة الناس، فهذه الفئة من العلماء خصَّها بهامش كبير في مؤلفاته لأنها بحسبه أسهمت في زرع قيم الامتثال والخضوع.
- وفي هذا الإطار أمكننا رصد الأسباب التي أدت إلى أزمة الفكر الديني والتربوي الإسلاميين من وجهة نظر بن التباني فيما يلي:
- هيمنة مناهج التفكير النقلي . والعقل النقلي . التي تعتمد على المقاربات اللغوية التقليدية – لا الهيرمنطقية الجديدة وما بعدها، للنصوص الفقهية والتفسيرية التقليدية وإعادة إنتاجها، أو شرح على متون النصوص الأولى أو هوامشها والحواشي على الحواشي في أفضل الأحوال.
- إعادة إنتاج المقولات الرئيسة وفروعها وشروحها في العائلات والمدارس الفقهية السنية الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية، وبعض النقول عن المذاهب أو المدارس الأخرى كالشيعة أو الإباضية. في هذا الإطار تعتمد عملية إعادة الإنتاج على عديد الآليات ومنها: الآلية التعليمية التلقينية لطلاب المدارس واعتماد الدرس على الحفظ والتكرار والتلاوة والتسميع للمنهج المدرسي، لا على البحث والتحليل والمناظرة والنقد للمقولات، والربط

بين المذاهب والمدارس الفقهية والتفسيرية والإفتائية، وبين سياقاتها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والجغرافية، ومن ثم الربط بين أسئلة الفتاوى وسياقاتها وعصرها، وإجاباتها، وما الجوهري وما العارض، وما الثابت؟ وما المتغير في هذا النمط من الآراء والفتاوى والأفكار الإسلامية السنية ومدارسها الفقهية البشرية الوضعية.

- استمرارية التوظيف البياني لبعض المصطلحات السائدة في العلوم الاجتماعية . الفلسفة والاجتماع والأنثربولوجيا والقانون والسياسة .. إلخ . في تلقيح الخطاب الإسلامي الحديث والمعاصر، وذلك دونما توظيف اصطلاحي ومعرفي دقيق للمصطلح المستخدم في سياقاته، وفي الممارسة البحثية.
- المزايدات الراديكالية والسلفية والسلفية الجهادية حول ماهية التفسير الصحيح للإسلام ونصوصه وقواعده وقيمه، ومن ثم النزاع الحاد على الإفتاء في القضايا المعاصرة من خلال منطق انتقائي لا تاريخي، يعتمد على إيلاء الأولوية للتفسيرات الأكثر تشددًا بدعوى أنها الأقرب إلى العقيدة والإيمان والقيم الإسلامية الصحيحة. من هنا تتشكل آلية إعادة إنتاج الآراء الأكثر تشددًا وصرامة لكن تحت غطاء يبدو ظاهرياً متماهياً مع الأفكار والآراء الفقهية لكبار الأئمة أو بعض التابعين.

الهوامش:

١- عشراتي(سليمان)، (٢٠٠٤م)، **العالم الإسلامي خلال القرنين ١٨م،١٩م**، الجزائر: دار الغرب للنشر، ص ٢٢٥.

٢- عميراوي (أحميدة)، (٢٠٠٥م)، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، الجزائر: دار الهدى، ص ٥٥.

٣- نقلاً عن: - يخلف(رمضان)،(١٩٩٢م)، **عبد الرحمان الثعالبي ومنهجه في التفسير**،ماجستير كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر: ص١٣.

٤ - راجع: -خير الدين شترة، (٢٠١١م)، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة**، مج٠٢، الجزائر: دار كردادة للنشر والتوزيع.

٥ - نسبةً إلى **أولاد تبان** وهي قرية صغيرة في الحدود بين ثلاث ولايات إدارية بالجزائر الشرقية «المسيلة، برج بوعريرج، سطيف» لا تبعد عن سطيف الولاية إلا بحوالي ٦٠ كلم، وسكانها بطن من بطون بني هلال القحطانيين أما راس الواد «تُنطق بدون همزة فوق الألف»، قرية مستحدثة في أرض ريغة، القبيلة العربية الكبرى وهي الآن دائرة تابعة لولاية برج بو عريريج بعد أن كانت في التقسيم الإداري القديم تابعة لولاية سطيف. راجع: - **الشهاب**، ج٦، ص٦٠.

٦ - زاوية رأس الوادي، **من أعلام علماء المسجد الحرام** (السيرة الذاتية لمحمد العربي ابن التباني بقلمه)، ص: ١.

٧ - **تقييد في نسب العربي التباني** (مخطوط)، ورقة: (١)- للتوسع يراجع: - أبي معاذ بن أحمد بن إبراهيم، (٢٠٠٧م)، **الدرة اللطيفة في الأنساب الشريفة**، الكويت: مركز البحوث في مبرة الآل والأصحاب - محمد بن الشارف ابن سيدي علي حشلاف، (١٩٢٩م)، **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ﷺ**، تونس: المطبعة التونسية، ص ٣٥ وما بعدها- جمال الدين أحمد بن علي الحسيني، (١٩٩٦م)، **المشجر الكشاف**، إيران: مطبعة أنصاريان- البلاذري أحمد بن يحي (ت٢٧٩هـ)، (١٩٧٤م)، **أنساب الأشراف**، تح. محمد باقر المحمودي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- محمد بن مخلوف، (١٣٤٩هـ)، **شجرة النور الزكية في طبقات النور الزكية في طبقات المالكية**، القاهرة: المطبعة السلفية،.- تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني، (١٣١٠هـ)، **غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار**- مصر: مطبعة بولاق- محمد الرفيعى (ت١٠٥٢هـ)، **الأنوار النبوية في آباء خير البرية**، قال الزركلى: بخطه في خزانة الرباط (١٢٣٨)، ثمانية فصول أولها ذكر العرب الذين هم أصل هذا النسب- الزبيدى محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى(ت ١٢٠٥هـ)، **إتحاف سيد الحي بسلاسل بني علي**- أبى القاسم محمد بن أحمد بن على بن إبراهيم الزيانى، **تحفة الحادي المُغرب في رفع نسب شرفاء المغرب**- شمس الدين محمود ابن السيد على

المرعشى (ت ١٣٣٨)، **السلاسل الذهبية في الأنساب العلوية**- يوسف بن عبد الله جمل الليل، **الشجرة الزكية في الأنساب**- محمد الحسينى الجلالى، **جريدة النسب لمعرفة من انتسب إلي خير أب.**

٨ – وهي حالياً تتبع إدارياً ولاية برج بوعريرج بالشرق الجزائري.

٩ – زاوية رأس الوادي، **من أعلام علماء المسجد الحرام** (السيرة الذاتية لمحمد العربي ابن التباني بقلمه)، ص: ١.

١٠ – **زاوية الشيخ العيساوي:** مؤسسها الشيخ السعيد بن الطاهر بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن العيساوي، تأسست خلال سنة ١٣٢٦-١٩٠٨م، ثم انتقل مقرها إلى راس الواد سنة ١٩١٨م بعد أن كان في طوملة، ومن الذين علموا بها الشيخ عبد الله بن القاضي اليعلاوي، والشيخ الشريف التونسي وآخرون..توفي مؤسسها سنة (١٣٩١ هـ-١٩٧١م)، وخلفه فيها ابنه الشيخ إبراهيم صويلح بن السعيد إلى غاية وفاته سنة ٢٠١٨م، وفي عهده تطورت الزاوية كثيراً حيث تأسست بها المدرسة القرآنية منذ ٢٠٠٧م على طريقة النظم الحديثة، إلى جانب الزاوية التي طورت هي الأخرى من أدوارها الوطنية والاجتماعية.

١١ – مقصود جمال، **بلوغ الأماني في مشيخة وأسانيد وإجازات الشيخ محمد العربي ابن التباني**، «دراسة غير منشورة».

١٢ – الشابي (أنس)، "زملاء ابن باديس"، **الهداية**، ع ١٥٤. تونس: ٢٠٠٣م، ص٥٩.

١٣ – " المتطوعون في العلوم"، **المشير**، تونس: ١٩١١/٠٨/٠٦م، ص٢.

١٤ – محمد سعيد بن محمد ممدوح، (ب.ت)، **تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع**، طبعة دار الشباب، ص ٣٧١.

١٥ – راجع: – **الشهاب**، ج٨، مج ١٣، (١٩٣٧/١٠)ص٣٥٥، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٧م.

١٦ – محمد العربي بن التباني، (١٩٤٩م)، **إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة**، السعودية، مطبعة الشرق، ص١١

١٧ – للتوسع راجع: –مازن صلاح مطبقاني، (١٩٩٩م)، **ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي**، دمشق: دار القلم، ص٣٥.

١٨ – بن التباني، **إتحاف ذوي النجابة**، المصدر السابق، ص١١، راجع أيضاً:- مقصود جمال، المرجع السابق، «دراسة غير منشورة».

١٩ – ويقول في ذلك زكريا بيلا كنت أري فضيلة الشيخ محمد العربي يدرس بالمسجد الحرام وقرأت عليه نبذة يسيرة من كتاب الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي وقبيل وفاته بأيام كنت صليت المغرب بالمسجد الحرام فرأيته عند باب العمرة على كرسي يدرس وحوله الطلاب وحمدت الله على عافيته وفي يوم الخميس ١٣٩٠/٠٣/٢٢هـ بلغني

انتقاله إلى رحمة الله وبعد صلاة العصر صلى عليه بالحرم وشيعت جنازته إلى مثواه الأخير رحمه الله وأسكنه فسيح جناته. زكريا بيلا، (ب.ت)، **الجواهر الحسان**، تح. عبد الوهاب أبو سليمان وآخرون، مؤسسة تطوير التعليم بالمملكة.السعودية ، ص٢٧١.

٢٠ – **المعلاه:** هي القسم العلوي من مكة المكرمة، وغالبا ما يطلق على مقبرة مكة التي صارت تعرف بالمعلاة؛ لوقوعها في هذا الحي (عاتق بن ليث البلادري، (١٩٨٢م)، **معجم معالم الحجاز**، ج٨، دار مكة للنشر والتوزيع، ص٠١). عبد الستار بن عبد الوهاب البكري، (١٤٣٠هـ)، **فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**، مكتبة الأسدي، ص١١٩.

٢١ – عبد الواحد مصطفى، (٢٠٠٧م)، **براءة الأشعريين من عقائد المخالفين وكتب أخرى**، دمشق: دار المصطفى، ص(ف).

٢٢ – القاهرة: مطبعة الأنوار، ط٠٢، ١٣٧٩هـ–١٩٥٩م.

٢٣ – بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: ١٩٨٤م.

٢٤ – دمشق، مطبعة العلم، ١٩٦٧م.

٢٥ – مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، ١٣٦٩هـ– ١٩٥٠م.

٢٦ – القاهرة: مطبعة حجازي، ١٣٧٠هـ– ١٩٥١.– (الطبعة الأولى التي لا نملكها): المكتبة المكية، السعودية، ٢٠٠٢م

٢٧ – مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، ١٣٦٩هـ– ١٩٥٠م.

٢٨ – طبعة خاصة على نفقة الشيخ إسماعيل جمال الحريري، ط٠٦، ١٤١٤هـ

٢٩ – السعودية، مطبعة الشرق، ١٣٦٨هـ– ١٩٤٩م.

٣٠ – محمد العربي ابن التباني، (١٣٥٨هـ)، **النصيحة والاستدراكات على كتاب المحاضرات للخضري**، القاهرة: مطبعة الشرق، ص٧٧.

٣١ – بدر شبيب الشبيب، **في تجديد الفكر الديني**، شبكة النبأ المعلوماتية، https://m.annabaa.org/n/authorsarticles/614

٣٢– سورة الرعد، الآية، ١١.

٣٣– للتوسع يراجع:– فرانس فانون، (١٩٧٠م)، **سوسيولوجية ثورة**"، تر. ذوقان قرقوط، ط١، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

٣٤ – بن التباني ، **براءة الأشعريين من عقائد المخالفين**، ج١، المصدر السابق. ص–ص(٥٢–٩٦).

٣٥ – بن التباني ، **اعتقاد أهل الإيمان بنزول المسيح آخر الزمان**، المصدر السابق، ص–ص (١٠٢–١٣١).

٣٦ – بن التباني ، **تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعليق الكوثري**، ط٢، المصدر السابق. ص–ص(٣٢–٤٥).

٣٧ – للتوسع يُراجع: – محمد الطاهر الكردي المكي، (٢٠٠٠م)، **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم**، بيروت: دار خضر للطباعة والنشر، ص٥٢١.
٣٨ – ابن التباني، **محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب**، المصدر السابق. ص٣.
٣٩ – ذكر الشيخ محمَّد أمين كتبي في تقريظه لكتاب ابن التباني (اعتقاد أهل الإيمان) أن أهم دافع له: « أَلَّفها فَضيلةُ شَيخنا العلَّامة الكبير الشَّيخ محمد العربي، المدرِّس بِمدرسة الفلاح، والمسجد الحرام(حفظه الله تعالى) إِجابةً لطلبِ بعضِ الأَصدقاء، فأَتقَنها وحصَّنها وأَحكمَ أَسوارها » راجع:– ابن التباني، **اعتقاد أهل الإيمان**، المصدر السابق، ص٣١.
٤٠ – ابن التباني: **محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب**، المصدر السابق، ص–ص (١٤٠–١٤١).
٤١ – محفوظ (بن صغير)، **التأليف والكتابة عند العلامة محمد العربي التباني –المنهج والمقومات**– الملتقى الدولي الأول حول: الاجتهاد والتجديد (الشيخ العربي بن التباني– حياته وآراءه) يومي: ٢٤–٢٠١٣/٠١/٢٥، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف سطيف.الجزائر.«غير منشورة».
٤٢– ابن التباني، **إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات**، المصدر السابق، ص٢.
٤٣ – نفسه ،ص ٢٠
٤٤– ذكر التباني طبعة المصدر وصفحته.
٤٥ – ابن التباني، **إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات**، المصدر السابق ،ص٢.
٤٦ – **تحذير العبقريّ** ، ج١، المصدر السابق، ص٣٤.
٤٧ – محفوظ بن صغير، التأليف والكتابة عند العلامة محمد العربي التباني –المنهج والمقومات.«غير منشورة». المرجع السابق.
٤٨ – ابن التباني: **تحذير العبقري**، ج١، المصدر السابق، ص٢.
٤٩ – ابن التباني: **تحذير العبقري**، ج١، المصدر السابق، ص٢.
٥٠ – المصدر نفسه.
٥١ – المصدر نفسه.
٥٢ – محفوظ بن صغير، **التأليف والكتابة عند العلامة محمد العربي التباني**، المرجع السابق.
٥٣ – ابن التباني: **تحذير العبقري**، ج١، المصدر السابق، ص٦٧.
٥٤ – ابن التباني: **تحذير العبقري**، ج٢، المصدر السابق، ص١٩
٥٥– ابن التباني، **إتحاف ذوي النجابة**، المصدر السابق، ص.ص (١٢٣– ١٢٤)

٥٦- محفوظ بن ساعد بوكراع، **العربي بن التّباني النّاقد الموسوعيّ البصير** «دراسة بحثية قيِّمة غير منشورة». المرجع السابق،
٥٧- نفسه.
٥٨ – ابن التباني، **اعتقاد أهل الإيمان بنزول المسيح** ، المصدر السابق، ص٥٠
٥٩ – ابن التباني، **تنبيه الباحث السّريّ**، المصدر السابق، ص١١٢.
٦٠ – محفوظ بن ساعد بوكراع، **العربي بن التّباني النّاقد الموسوعيّ البصير**، المرجع السابق،
٦١- ابن القيم (الجوزية)، (١٩٩٤م)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج٣، بيروت: دار الرسالة، ص٦٠١.
٦٢ – ابن التباني، **التعقيب المفيد في هدي الزرعي الشديد**، المصدر السابق، ص٥٧.
٦٣ – ابن التباني، **إسعاف المسلمين والمسلمات**، المصدر السابق، ص ٤.
٦٤ – سورة البقرة، الآية ١٤٣.
٦٥ – ابن التباني، **إتحاف ذوي النجابة**، المصدر السابق، ص ٣١.
٦٦ – حاجي خليفة، (١٩٤١م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٧ – عمر عبد الجبار، (١٤٠٣ه)، **سير تراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر**، ط٣، مكتبة تهامة، ص١٢٥.- المرعشلي يوسف، (٢٠٠٦م)، **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر**، ج١، بيروت: دار عالم المعرفة، ص١٣٣٤.
٦٨ – أنظر سيرته بخط يده:- ابن التباني، **إتحاف ذوي النجابة**، المصدر السابق ، ص٥
٦٩ – للتوسع في صفة وطريقة التدريس في عصره، يرجى الإطلاع على: -كرستيان سنوك هورخرونيه، (١٩٩٩م)، **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**.تر. علي عودة الشيوخ، السعودية، دار الملك عبد العزيز، ص٣٢٥.
٧٠ – لفهم دواعي ذلك ينظر: -الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت)، (ب.ت)، **الجامع لأخلاق الراوي وأدب السامع**،ج٢، دار المعارف، ص٦٢.
٧١ – الحافظ أبو سعد السمعاني، **(ب.ت)، أدب الإملاء والاستملاء**، مر. سعيد محمد اللحام، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٣٩.
٧٢ – أنظر سيرته بخط يده:- ابن التباني (محمد العربي)، **إتحاف ذوي النجابة** ، المصدر السابق، ص٥.
٧٣- رسالة عائلية مخطوطة تحصلت عليها من جملة أرشيفه الكامل، من السيد مقصود جمال (إمام بمسجد راس الواد- الجزائر).
٧٤ – للتوسع يُراجع: – محمد الطاهر الكردي المكي، المصدر السابق، ص٥٢١.

٧٥ – زاوية رأس الوادي، **من أعلام علماء المسجد الحرام**، المصدر السابق، ص .ص٦ . ٧.
٧٦ – ابن التباني، **تحذير العبقري من محاضرات الخضري**، المصدر السابق، ص٣١.
٧٧ – نفسه، ص٣
٧٨– عبد الفتاح أبو غدة، **إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتاح**، المصدر السابق، ص: ٣٧٧.
٧٩ – زاوية رأس الوادي، **من أعلام علماء المسجد الحرام**، المصدر السابق، ص،٢٠.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

البكري (عبد الستار بن عبد الوهاب)، (١٤٣٠هـ)، **فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**، مكتبة الأسدي.

البلاذري (أحمد بن يحي)، (ت٢٧٩هـ)، (١٩٧٤م)، **أنساب الأشراف**، تح. محمد باقر المحمودي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

البلاذري (عاتق بن ليث)، (١٩٨٢م)، **معجم معالم الحجاز**، ج٨، دار مكة للنشر والتوزيع.

تاج الدين (بن محمد بن حمزة بن زهرة الحسينى)، (١٣١٠هـ)، **غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار**– مصر: مطبعة بولاق.

ابن التباني (محمد العربي)، (١٩٣٩م)، **النصيحة والاستدراكات على كتاب المحاضرات للخضري**، القاهرة: مطبعة الشرق.

ابن التباني (محمد العربي)، (١٩٤٩م)، **إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة**، السعودية، مطبعة الشرق.

ابن التباني (محمد العربي)، (١٩٥٠م)، **اعتقاد أهل الإيمان بنزول المسيح ابن مريم عليه وعلى نبينا السلام آخر الزمان**مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده.

ابن التباني (محمد العربي)، (١٩٥٠م)، **خلاصة الكلام فيما هو المراد بالمسجد الحرام**(صدرت الطبعة الأولى في ١٩٥٠م)، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده.

ابن التباني (محمد العربي)، (١٩٥١)، **محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب**، القاهرة: مطبعة حجازي.

ابن التباني (محمد العربي)، (١٩٥٩م)، **تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعليقات الكوثري**، القاهرة: مطبعة الأنوار، ط٠٢.

ابن التباني (محمد العربي)، (١٩٦٧م)، **براءة الأشعريِّين من عقائد المخالفين** (جزآن): وصدر باسم أبي حامد مرزوق دمشق، مطبعة العلم.

ابن التباني (محمد العربي)، (١٩٨٤م)، **تحذير العبقري من محاضرات الخضري أو إفادة الأخيار ببراءة الأبرار**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢.

ابن التباني (محمد العربي)، (١٩٩٣م)، **إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات**، طبعة خاصة على نفقة الشيخ إسماعيل جمال الحريري، ط٠٦

جمال الدين (أحمد بن علي الحسيني)، (١٩٩٦م)، **المشجر الكشاف**، إيران: مطبعة أنصاريان .

حاجي (خليفة)، (١٩٤١م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الحافظ (أبو سعد السمعاني)، (**ب.ت**)، **أدب الإملاء والاستملاء**، مر. سعيد محمد اللحام، بيروت: دار الكتب العلمية.

الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت)، (ب.ت)، **الجامع لأخلاق الراوي وأدب السامع**،ج٢، دار المعارف.

الزبيدى (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى)(ت ١٢٠٥هـ)، **إتحاف سيد الحي بسلاسل بني علي**-.

عمر (عبد الجبار)، (١٤٠٣هـ)، **سير تراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر**، ط٣، مكتبة تهامة

أبى القاسم (محمد بن أحمد بن على بن إبراهيم الزيانى)، (ب.ت)، **تحفة الحادي المُغرب في رفع نسب شرفاء المغرب**.

ابن القيم (الجوزية)، (١٩٩٤م)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج٣، بيروت: دار الرسالة.

محمد (سعيد بن محمد ممدوح)، (ب.ت)، **تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع**، طبعة دار الشباب

محمد (بن الشارف ابن سيدي علي حشلاف)، (١٩٢٩م)، **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ﷺ**، تونس: المطبعة التونسية.

محمد (الطاهر الكردي المكي)، (٢٠٠٠م)، **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم**، بيروت: دار خضر للطباعة والنشر.

محمد (بن مخلوف)، (١٣٤٩هـ)، **شجرة النور الزكية في طبقات النور الزكية في طبقات المالكية**، القاهرة: المطبعة السلفية.

المرعشى (شمس الدين محمود ابن السيد علي)، (ت ١٣٣٨)، السلاسل الذهبية في الأنساب العلوية.

المرعشلي (يوسف)، (٢٠٠٦م)، **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر**، ج١، بيروت: دار عالم المعرفة.

أبي معاذ (بن أحمد بن إبراهيم)، (٢٠٠٧م)، **الدرة اللطيفة في الأنساب الشريفة**، الكويت: مركز البحوث في مبرة الآل والأصحاب –

عبد الواحد (مصطفى)، (٢٠٠٧م)، **براءة الأشعريين من عقائد المخالفين وكتب أخرى**، دمشق: دار المصطفى.

دراسات غير منشورة:

تقييد في نسب العربي التباني (مخطوط)، ورقة: (١).

زاوية رأس الوادي، **من أعلام علماء المسجد الحرام** (السيرة الذاتية لمحمد العربي ابن التباني بقلمه).

محفوظ (بن صغير)، **التأليف والكتابة عند العلامة محمد العربي التباني – المنهج والمقومات**– الملتقى الدولي الأول حول: الاجتهاد والتجديد (الشيخ العربي بن التباني– حياته وآراءه) يومي: ٢٤-٢٥/٠١/٢٠١٣، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف سطيف.الجزائر.«غير منشورة».

مقصود جمال، **بلوغ الأماني في مشيخة وأسانيد وإجازات الشيخ محمد العربي ابن التباني**، «دراسة غير منشورة».

المراجع:

خير الدين (شترة)، (٢٠١١م)، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة**، مج٠٢، الجزائر: دار كردادة للنشر والتوزيع.

زكريا (بيلا)، (ب.ت)، **الجواهر الحسان**، تح. عبد الوهاب أبو سليمان وآخرون، مؤسسة تطوير التعليم بالمملكة.السعودية.

عشراتي(سليمان)، (٢٠٠٤م)، **العالم الإسلامي خلال القرنين ١٨م،١٩م**، الجزائر: دار الغرب للنشر.

عميراوي (أحميدة)، (٢٠٠٥م)، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، الجزائر: دار الهدى.

فرانس (فانون)، (١٩٧٠م)، **سوسيولوجية ثورة**"، تر. ذوقان قرقوط، ط١، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

كرستيان (سنوك هورخرونيه)، (١٩٩٩م)، **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**.تر. علي عودة الشيوخ، السعودية، دار الملك عبد العزيز.

مازن (صلاح مطبقاني)، (١٩٩٩م)، **ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي**، دمشق: دار القلم.

يخلف(رمضان)،(١٩٩٢م)، **عبد الرحمان الثعالبي ومنهجه في التفسير**،ماجستير أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر

المقالات:

مجلة الشهاب، ج٨، مج ١٣، (١٠/١٩٣٧)ص٣٥٥، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٧م.

مجلة **المشير**، تونس: ٠٦/٠٨/١٩١١م.

مجلة **الهداية**، ع ١٥٤. تونس: ٢٠٠٣م.

المواقع الإلكترونية:

بدر شبيب الشبيب، **في تجديد الفكر الديني**، شبكة النبأ المعلوماتية، https://m.annabaa.org/n/authorsarticles/614